إطلالة على جمهورية شيشرون

أ.د. / جمال الدين السيد أبو الوفا
كلية الآداب – جامعة المنيا
أ.د. / علي عبد التواب علي
كلية الآداب – جامعة القاهرة

وُلد ماركوس تولّيوس شيشرون في الثالث من يناير عام ١٠٦ ق.م. بمدينة أربينوم التي تقع على مسافة ٦٠ ميلًا جنوب روما. وفي صدر شبابه سافر إلى روما حيث كرس نفسه للدراسة، وفي عام ٧٩ ق.م. سافر شيشرون إلى أثينا لدراسة الفلسفة، كما سافر إلى بعض مدن أسيا الصغرى ودرس البلاغة على يد مولو، ثم عاد إلى روما عام ٧٧ ق.م. وسرعان ما أصبح من الشخصيات البارزة في ساحات القضاء وفي الحياة السياسية.

بعد قيام الائتلاف الثلاثي الأول عام ٦٠ق.م.، توقف شيشرون عن لعب دور بارز في الحياة السياسية الرومانية، بل إنه تعرض للنفي بين عامي ٥٨ و٥٧ ق.م.؛ بسبب دوره في إعدام أعضاء مؤامرة كاتيلينا، وبعد عودته من المنفي وتحديدًا في الفترة من عام ٥٥ إلى ٥١ ق.م. عانى من العزلة السياسية بعد أن تلقى تحذيرًا من كل من قيصر وبومبي من التدخل في أمور الحكم؛ وفي تلك الفترة كان شيشرون يظهر في ساحات القضاء وفي قاعة مجلس الشيوخ، ولكن في ظل ضوابط صارمة. وكانت النتيجة الحتمية لمثل هذه الظروف الصعبة لرجل بمثل ثقافة شيشرون أن يضع لنفسه برنامج طموح في التأليف فانكب على كتابة مؤلفاته الفلسفية والخطابية، حيث ألف عملين من روائعه وهما محاورة "عن الخطيب" عام ٥٥ ق.م.، ومحاورة "عن الجمهورية" التي كرس نفسه في السنوات الأربع التالية لكتابتها وبدأ أيضًا في كتابة محاورة "عن القوانين".

تهدف مؤلفاته في الفلسفة والأخلاق في المقام الأول إلى تلخيص تعاليم حكماء الإغريق السياسية وتقديمها للرومان بلغة لاتينية سهلة وواضحة وجذابة، وقد جمَّل بحوثه بالحوار مقتديًا بأفلاطون، واضطر إلى ابتكار مصطلحات فلسفية لاتينية ونجح في هذا نجاحًا باهرًا. تأثر

شيشرون بفلاسفة المدرسة الأكاديمية ونهل من مبادئ الرواقية على يد أستاذه بوسيدونيوس[١] (Posidonius) وكان يكن احترامًا فائقًا لأفلاطون الذي دعاه بالإلهي. ومن أهم أعمال شيشرون: "عن حدود أعمال الخير والشر" (De finibus bonorum et malorum) وفيه يطرح كافة النظريات حول "الخير الأسمى" متأثرًا بالتعاليم الرواقية. وفي "مناقشات توسكولوم" (Disputationes Tusculanae)، يعالج فكرة الموت والحزن والخوف والعاطفة وكل ما هو ضروري لتحقيق السعادة وخاصة الفضيلة. وأظهر شيشرون اهتمامًا بالفكر الديني في محاورة "عن طبيعة الآلهة" (De Natura Deorum) وهي تقع في ثلاثة كتب تعكس آراء الإبيقورية والرواقية والأكاديمية حول طبيعة الآلهة والعناية الإلهية. أما كتابه "عن العرافة" (De Divinatione) فيدور حول طبيعة العرافة والتنبؤ. وفي مقال "عن الصداقة" (De amicitia) يشرح شيشرون أسس الصداقة الحقيقية وعلى رأسها الفضيلة.[٢]

في نهاية شهر يوليو من عام ٥٤ ق.م. كتب شيشرون رسالة إلى شقيقه كوينتوس وأخرى إلى أتيكوس (Q. fr. 2.15.4, Att. 4.15.8) ويصف فيهما الظروف السياسية المواكبة لانتخاب نقباء العامة في روما، وكيف أن كل المرشحين قد وضعوا أنفسهم رهن إشارة كاتو الأصغر، فلو أن كاتو أمرهم أن يسلكوا سلوكًا فاسدًا فلا مانع لديهم أن يفعلوه وأن يدفعوا غرامة قدرها نصف مليون سيسترسيس؛ ويتعجب شيشرون كيف أن كاتو أصبح له مثل هذا التأثير بحيث صار نفوذه لديهم أقوى من نفوذ الدولة وأقوى من هيبة القوانين ومؤسسات العدالة. وإنه ليس من قبيل الصدفة أن شيشرون قد كتب هذه الرسائل قبل شهور من كتابته إليهما مرة أخرى ليخبرهما أنه قد شرع في كتابة محاورة "عن الجمهورية" ويصف لهما ما كتبه في بداية عمله هذا (Q. fr. 2.13.1, Att. 4.14.1, 4.16.2) . لا غرابة إذن أن يكون ما ذكره شيشرون في رسائله هو محور المحاورة التي يكتبها، أي العلاقة بين رجل الدولة أو المواطن وأجهزة الدولة. وما هو النظام السياسي الذي بإمكانه أن يجمع بين مجتمع تقليدي وشخص له من الكاريزما بحيث يتخذ قرارات حاسمة وقت

(1).135 – 51 BC

(2). P. Mackendrick, (1989), *The Philosophical work of Cicero*, Backworth. London. p. 56. See also:
S. McConnell, (2012), *Cicero and Dicaearchus*, Oxford Studies in Ancient Philosophy 42. p. 319.

الأزمة؟ وما هي العلاقة بين الفضيلة على المستوى الشخصي وعلى مستوى المجتمع؟ وهل الرجال الصالحون يمكنهم خلق مجتمع صالح؟ أم أن المجتمع الصالح لابد أن يفرز رجالًا صالحين؟

وكل هذه الأسئلة ليست بالجديدة فقد طرحها أرسطو من قبل في عمله "السياسة"؛ ومثل هذه الأسئلة –خاصة في تلك الحقبة– لها أهمية، حيث سقوط النظام الجمهوري أمام سطوة أعضاء الائتلاف الثلاثي الأول أي قيصر وبومبي وكراسوس، فالسلطة والنفوذ صارا في قبضة يد حفنة من الديماجوجيين وبعض السياسيين المؤثرين في الشارع أمثال كلوديوس بولكر وميلو؛ وهكذا فإن قدرة كاتو الأصغر على امتلاك نفوذ أقوى من أجهزة الدولة في السنوات العشر الأخيرة –قبل اندلاع فتيل الحرب الأهلية– جعل شيشرون يشعر بالخوف على النظام السياسي وجعله يطرح العديد من الأسئلة النظرية حول فلسفة الحكم. وفي عام ٥٤ ق.م. كتب لأتيكوس وقد تملك اليأس منه حيث يقول: "لقد مضى بعض الوقت منذ أن فقدنا الجمهورية" (Att. 4.18.2)، وعبر عن هذا الحزن مرة أخرى في استهلاله للكتاب الخامس من الجمهورية.

أخذ شيشرون قراره بأن يكتب رؤيته كسياسي روماني فيما يخص موضوع الشكل الأمثل للدولة ونظام الحكم على هيئة محاورة وذلك لعدة أسباب، فالمحاورة كنوع أدبي تسمح بأكثر من شيء، فهي تتيح للشخصيات الحوارية أن تعبر عن آرائها فلا يكون الرأي الأوحد هو رأي المؤلف، إذ تمكن الكاتب من عرض الكثير من وجهات النظر المتعددة. فبعض المحاورات لا تعطي رأي جازم للقضية التي تتناولها وتفضل أن تكون نهايتها مفتوحة لحكم القارئ، في حين أن هناك محاورات أخرى حازمة وتقوم بتوجيه القارئ إلى وجهة نظر المؤلف ليحصل في النهاية على تأييد رأيه فقط. وفي بعض الأحيان يجعل كاتب المحاورة من نفسه إحدى شخصيات المحاورة، ويجعل آراءه الشخصية تجري على لسانها، وفي أحيان أخرى تتضح فلسفة المؤلف بصورة غير مباشرة من خلال التمعن في مناقشات الشخصيات الحوارية، مع الأخذ في الاعتبار الدور الذي تلعبه كل شخصية، إن كان بمقدور القارئ أن يدرك ذلك الدور، لذا فإن على قارئ المحاورة أن يقرأ بعناية وبحرص بالغ.

كتب شيشرون محاورتي "عن الجمهورية" و "عن القوانين"، وفي تلك الأخيرة نجد حوار بينه وبين صديقه العزيز أتيكوس وكذلك أخيه كوينتوس، وفيها لم يحدد شيشرون الوقت الذي جرى فيه هذا الحوار، ولكننا يمكننا أن نخمن أن هذا الحوار المتخيل قد جرى قبل شروعه في كتابة هذه المحاورة أي عام ٥٠ ق.م.، فشخصية شيشرون هي التي توجه الحوار في هذه المحاورة. أما في محاورة "عن الجمهورية" فالوضع مختلف إلى حد ما؛ فشخصية شيشرون تظهر فيها أيضًا، ولكنها تتوقف عند حد المقدمات فقط، التي تستهل كل زوجين من الكتب التي تشكل بناء المحاورة بوحداتها الثلاث. ولا يعني عدم كون شيشرون طرفًا أساسيًا في الحوار أنه لن يعبر عن وجهة نظره الشخصية، فهو بإمكانه أن يعبر عن آرائه من خلال شخصية حوارية واحدة أو أكثر. ونعرف من رسالة وجهها شيشرون إلى أخيه كوينتوس أنه آثر أن يجعل الحوار في "عن الجمهورية" يدور على لسان شخصيات من الماضي لأنه كان يخشى الإساءة للشخصيات السياسية المعاصرة[١]. ولدينا دليل دامغ على توخي شيشرون الحذر الشديد عند كتابته لمحاورة "عن الجمهورية"؛ لأنه كان يخشى أن تتسبب آراءه في الشأن السياسي أن تعرضه للمساءلة القانونية في ساحة القضاء؛ ففي رسالة وجهها إلى أتيكوس عام ٥٩ ق.م. أي قبل كتابته للمحاورة بعدة سنوات، يقول:

> "سوف أكتب إليك بإيجاز عن الجمهورية (De Re Publica) وذلك لأن خوفي بدأ يزداد من أن تخونني الأوراق. وعلى ذلك فمن الآن فصاعدًا فإنني إن أردت أن أكتب إليك باستفاضة عن مثل هذه الأمور فإنني سوف أخفي المعنى الذي أريده باستخدام لغة مجازية"[٢].

مهد شيشرون للمحاورة بتمهيد طويل جرى على لسانه هو، وفيه يدعو القراء للانخراط معه في الفلسفة السياسية. والحق أن هذا التمهيد المسهب لهذه المحاورة يفوق بكثير مثيله في محاوراته الأخرى. ورغم فقدان بعض الأجزاء من هذه المقدمة، فإن القارئ يدرك من الجزء الباقي دفاع شيشرون عن الفلسفة السياسية أمام جمهوره وتهيأة هذا الجمهور لتقبل فكرة مناقشة الشكل الأمثل للدولة، وقد استفاد في تنفيذ هذا الغرض من خبرته في الحياة السياسية الرومانية، وكذلك من

(1). (Cic. Q. Fr. 3.5.2).
(2). (Cic. Att. 2.20.3).

وجود نماذج مبهرة في هذا المضمار في التراث اليوناني، ونعني بذلك جمهورية أفلاطون؛ ويستغل شيشرون طبيعة هذا الموضوع لتوجيه النقد للفلسفة الإبيقورية التي تفضل الابتعاد عن العمل السياسي أو مناقشة الأمور السياسية. كما يضيف شيشرون أن التنظير في السياسة بدون خوض غمار حياتها بكل صراعتها يعد خطأ فادح، فالكتابة فيها تحتاج إلى الحكمة العملية، ولابد للمفكر أن يعيش الصراعات السياسية قبل أن يشرع في الكتابة فيها، ولهذا اختار شيشرون الشخصيات الحوارية بعناية، فهي شخصيات خبرت الحياة السياسية في روما بكل تفاصيلها. وكان من ذكاء شيشرون أن يجعل المحاورة على هيئة حكاية وقعت أحداثها قبل مولده، ولكن أحد أطراف الحوار ظل على قيد الحياة لفترة من الزمن وحكى له ما جرى في هذا الحوار، وهو بذلك يحاول أن يفصل بين الآراء التي سيتم ذكرها على لسان المتحاورين وبين شخصيته كمؤلف للمحاورة.

كان سقراط في محاورات أفلاطون هو الشخصية التي يعبر بها أفلاطون عن آرائه وذلك في جميع محاوراته، فهل سكيبيو الأصغر يعبر عن آراء شيشرون في محاورة "عن الجمهورية"؟ إن سكيبيو رجل دولة، وهو كذلك محب للفلسفة (Rep. 1.29, 34, 35)، ففي أول حديث مطول له قام بمدح الفلسفة والحياة وفقًا لمبادئها (Rep. 1.26–29)، وهذا المديح يعيد للأذهان مقدمة شيشرون التي يحاول فيها الربط بين السياسة والفلسفة. فالسياسي عندما تمتلئ نفسه بالحكمة يبلغ السعادة خاصة عندما يفكر في الخلود ورضا الرب، وحينها تهون في عينيه كل شئون الدنيا، ويعتبرها أدنى من الحكمة. وهذا الحديث لسكيبيو يجعلنا نعيد طرح سؤال هل سكيبيو يعبر عن آراء شيشرون الشخصية أم لا؟ خاصة وأن شيشرون يصف سكيبيو دائمًا بالتعبيرات ذاتها التي يصف بها نفسه، كرجل الدولة الذي يجمع بين المشاركة في الحياة السياسية ودراسة الفلسفة.

خلفية المحاورة:

أجرى شيشرون الحوار بين العديد من الشخصيات الحوارية ليتمكن من عرض الرأي والرأي الآخر، وهو النهج الذي يتبعه أتباع مدرسة الشكاك. وفي هذه المحاورة اختار شيشرون سكيبيو أيميليانوس ليلعب دور الشيخ الحكيم، كما هي العادة في فن المحاورات. وقد جرى الحوار في

ضيعة سكيبيو عام ١٢٩ ق.م[١] على مدار ثلاثة أيام، بحيث يغطي كل كتابين حوار يوم. وقد ورد جزء كبير من الكتاب السادس على هيئة سرد لحلم رآه سكيبيو، ويطلق عليه اسم "حلم سكيبيو" (Somnium Scipionis).[٢]

"عن الجمهورية" De Republica:

تعد محاورة "عن الجمهورية" (De Republica) من أهم مؤلفات شيشرون في السياسة والفكر السياسي، وقد كتبها في ستة كتب، وفيها سار على نهج أفلاطون في محاورة "الجمهورية"، ولا غرو في ذلك إذ إنه كان يكن له احترامًا فائقًا ويبجله حتى أنه اعتاد أن يقول عنه "ذلك هو إلهنا" "deus ille noster"[٣] وإن اختلف معه في كثير من التفاصيل.[٤]

يعد عمليّ شيشرون في الفلسفة السياسية "عن الجمهورية" و"عن القوانين" بمثابة توضيح لنظريته السياسية، وهما عملان يدينان بالكثير لأفلاطون شكلا ومضمونًا، ولكنهما أتيا من منظور رجل الدولة الروماني الذي يفضل الحكمة العملية على الحكمة النظرية.[٥]

يمكننا تبين دين محاورة الجمهورية لشيشرون إلى جمهورية أفلاطون بكل سهولة، فالتاريخ الذي اختاره كلاهما لحدوث الحوار بين المتحاورين يعود إلى الماضي لحقبة لم يكن المؤلف قد وُلد بعد

---

[١]. اختار شيشرون عام ١٢٩ ق.م. ليحدث فيه الحوار؛ لأنه العام الذي تُوفي فيه سكيبيو الأصغر في ظروف غامضة، كما أن الحوار قد جرى قبل وفاته مباشرة. فقبل هذا التاريخ بأربعة أعوام أي عام ١٣٣ ق.م. تقدم تيبريوس جراكوس كنقيب للعامة إلى مجلس الشيوخ بمشروع قانون الإصلاح الزراعي، ولكنه لقي مصرعه على يد أعضاء المجلس عندما رغب في إعادة انتخاب نفسه. وفي عام ١٢٩ ق.م. عارض ابن عمه سكيبيو الأصغر هذا المشروع بشدة، ثم مات على نحو مفاجئ بعد جلسة ساخنة في مجلس الشيوخ، ولهذا يعتقد شيشرون أن وفاته جنائية، رغم عدم وجود ما يدل على ذلك.

[2]. T. C. Lockwood, (2015), *Documenting Hellenistic Philosophy: Cicero as a source as a Philosospher*, Quinnipiac University. pp. 22-23.

[3]. (Cic. Ad Atticus. IV. 16).

[٤]. علي عبد التواب علي، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦) *الأدب اللاتينى فى عصرى الجمهورية وصدر الإمبراطورية، قراءة فى الأجناس الأدبية*، القاهرة، ص ٢٢٢.

[٥]. أحمد عتمان. (١٩٨٩)، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي، عالم المعرفة، العدد ١٤١. الكويت. ص ١٦٧.

حينها؛ هذا كما أن الحوار في المحاورتين حدث أثناء عطلة لاحتفال ديني[١]. تجمع كلتا المحاورتان بين عنصر السرد الطويل من قبل أحد الأشخاص، وعنصر الحوار الدرامي، وفي كليهما يقرر الراوي أن يحكي من الذاكرة حوار حدث في الماضي، والراوي عند أفلاطون هو سقراط، الذي كان مشاركًا في الحوار الذي يسرده، أما في جمهورية شيشرون فالراوي هو شيشرون نفسه، وهو يروي ما سمعه من بوبليوس روفوس أحد المشاركين في الحوار. بالإضافة لهذا فإن شيشرون استخدم بعض الحيل الأدبية التي استخدمها أفلاطون، فعلى سبيل المثال جاء حديث سكيبيو في الكتاب الأول على غرار الجدال السقراطي، كما أن حلم سكيبيو الذي ختم به شيشرون المحاورة هو نسخة من أسطورة "إر" التي أنهى بها أفلاطون محاورته. علاوة على ذلك فإن شبح الموت يخيم على الحوار السياسي في المحاورتين، إذ إن الشخصية الحوارية الرئيسة في المحاورتين يتم التنبؤ بموتها. وقد قدم أفلاطون صورة مجازية رائعة حين صور مجموعة من البشر تعيش في ظلمات كهف فيأتي رجل ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويخلصهم من ذلك السجن المظلم فيسخروا منه ويقتلوه[٢]؛ وفي المقابل عند شيشرون –في حلم سكيبيو– يأتي سكيبيو الأكبر إلى سكيبيو الأصغر في الحلم ويخبره بمصيره، فسوف يلقى حتفه على يد فئة ضالة مثلما لقي الرجل التنويري حتفه على يد أهل الكهف الذين يخشون النور.

لم يحاول شيشرون أن يقدم صورة لوطن نموذجي مثلما فعل أفلاطون في محاورة الجمهورية، بل كان يسلط الضوء على الماضي من أجل أن يصل إلى أن الدستور الروماني في عصر سكيبيو كان أفضل شكل للدولة[٣]؛ لذلك تعد المعالجة التي قدمها شيشرون في محاورة الجمهورية ذات أبعاد تاريخية وسياسية واجتماعية، وعلى الرغم من اعتماد شيشرون على جمهورية أفلاطون وتأثره به في بعض القضايا، فقد انتقده في قضايا أخرى؛ وذلك لأنه رجل سياسة روماني يمثل الواقعية الرومانية بكل ما تحمله من معاني، فقد خلع ثوب المثالية الخيالية الأفلاطونية ولبس ثوب

(1). (Cic. Rep. 1. 14) and (Pl. Resp. 1.327a, 1.354a).
(2). (Pl. Resp. 7.516e–517a).
(3). T. C. Lockwood, (2015) p. 22.

الواقعية الرومانية، حيث يرى أن تمسك الرومان بالعادات والتقاليد الموروثة (mos maiorum) هو ما حافظ على استقرار روما على مر الأجيال.[١]

الشخصيات الحوارية لمحاورة "عن الجمهورية":

اختار شيشرون تسع شخصيات كشخصيات حوارية في هذه المحاورة، وجعل سكيبيو أيميليانوس المتحدث الرئيس فيها، وهو رجل يكن له شيشرون توقيرًا هائلًا؛ وذلك لأنه يجمع بين العمل السياسي والمهارة العسكرية والنشاط الثقافي، وشاركه في الحوار اثنان من الأصدقاء المقربين له وهما لايليوس وفيلوس، هذا علاوة على بعض الممثلين لكبار السن وكذلك جيل الشباب، وأتت الشخصيات الحوارية على النحو التالي:

بوبليوس كورنيليوس سكيبيو أفريكانوس الأصغر: المتحدث الرئيس في محاورة "عن الجمهورية"، وُلد عام ١٨٥ق.م.، وهو ابن القائد العسكري أيميليوس باولوس الذي من خلاله حصل على لقب أيميليانوس. بدا منذ صدر شبابه أنه شاب واعد ولهذا تبناه الابن الأكبر لأفريكانوس الذي انتصر على هانيبال في معركة زاما عام ٢٠٢ ق.م. تزوج من ابنة تيبريوس سمبرونيوس جراكوس وبذلك كان صهرًا للأخوين جراكوس. وقد مات عام ١٢٩ ق.م. في ظروف ينتابها الغموض الشديد.

كان سكيبيو أفريكانوس الأصغر الشخصية الأبرز في عصره، فهو ينتمي إلى ثلاث عائلات عريقة في روما، عائلة أيميليوس وهي عائلته بالمولد، وعائلة كورنيليوس بالتبني، وعائلة سمبرونيوس بالمصاهرة. كانت حياة سكيبيو الأصغر حافلة بالنشاط العسكري، ففي عام ١٦٨ ق.م. حارب في بيدنا، وفي عام ١٥١ ق.م. عمل في إسبانيا كتربيون عسكري، وفي قنصليته الأولى عام ١٤٦ ق.م. انتصر على قرطاجة، وفي قنصليته الثانية عام ١٣٣ ق.م. انتصر على نومانتيا. وقد شغل سكيبيو منصب الرقيب عام ١٤٢ ق.م. حيث هاجم بشدة حالة الترف التي ظهرت في المجتمع الروماني.

---

[١]. أحمد خليل إبراهيم. (٢٠٠٤)، "القضايا النقدية فى محاورة الجمهورية عند شيشرون"، رسالة دكتوراة (غيرمنشورة)، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة. ص٢.

كان سكيبيو الأصغر متيمًا بالثقافة الإغريقية، وكان يكن تقديرًا كبيرًا للأدباء والمثقفين، ولهذا أنشأ صالون ثقافي سُمي باسمه "صالون سكيبيو"؛ وقد ضم هذا الصالون كل الأدباء في هذا العصر، فشمل الكاتب المسرحي ترنتيوس وشاعر الساتورا لوكيليوس، والفيلسوف الرواقي بانايتيوس، والمؤرخ اليوناني بوليبيوس.[١]

جايوس لايليوس: من الشخصيات الرئيسة في المحاورة، وقد وُلد عام ١٨٦ ق.م. كان أحد رعاة الأدب وعضو صالون سكيبيو الثقافي. عمل كضابط تحت قيادة سكيبيو في الحرب البونية الثالثة، وأصبح نقيبًا للعامة عام ١٥١ ق.م.، وبرايتور عام ١٤٥ق.م. وقنصل عام ١٤٠ق.م. كانت صداقته بسكيبيو الأصغر مضرب المثل على الصداقة في العالم القديم، وقد خلد شيشرون هذه الصداقة في محاورته "لايليوس عن الصداقة". من وجهة نظر شيشرون فإن لايليوس يجسد نموذج الرجل الروماني الذي يتحلى بالأخلاق الرومانية الأصيلة، كما أنه من المهتمين بالثقافة الإغريقية.[٢]

لوكيوس فوريوس فيلوس: وُلد عام ١٨٠ ق.م. تقريبًا وحصل على القنصلية عام ١٣٦ق.م. ومن المعروف عن أنه كان من المهتمين بالأدب بالإضافة إلى كونه خطيبًا مفوهًا.[٣]

مانيوس مانيليوس: وُلد عام ١٩٣ ق.م. وحصل على القنصلية عام ١٤٩ ق.م. كان خطيبًا مفوهًا، وقد انصب اهتمامه حول الدراسات القانونية، وألف عملين في هذا المجال، العمل الأول يتناول القوانين التي سنها الملك نوما، والثاني يتناول الإجراءات القانونية للتقاضي.[٤]

سبوريوس موميوس: تعود شهرته إلى دفاعه عن قضايا الطبقة الأرستقراطية، هذا علاوة على رسائله ذات النغمة الأخلاقية التي وجهها إلى أصدقائه وقد صاغها شعرًا وهي هجائية الطابع.[٥]

---

(1). A. E. Astin, (1967), *Scipio Aemilianus*, Oxfrod. p.11.
(2). A. E. Astin, (1967), p.14.
(3). The Oxford Classical Dictionary, (1979), ed. by Hammond, N. G. L. and H. H. Scullard, Second Edition. Oxford. p. 243.
(4). The Oxford Classical Dictionary, (1949) ed. by Cary, M., and A. D. Nock et alt., first edition, Oxford.p. 279.
(5). J. E. Sandy, (1962), Dictionary of Classical Antiquities, New York. p. 421.

كوينتوس أيليوس توبيرو: هو حفيد أيميليوس باولوس. حصل على منصب نقيب العامة قبل عام ١٢٩ ق.م.، ولكنه لم يفلح في الحصول على البرايتورية بعد ذلك التاريخ. كان رواقي صارم، وهو من تلاميذ بانايتيوس، وكان يتمتع بثقافة قانونية هائلة.[١]

بوبليوس روتيليوس روفوس: خدم كضابط تحت قيادة سكيبيو في حرب نومانتيا عام ١٣٤ ق.م. وفي عام ١١١ ق.م. تقلد منصب برايتور المدينة. وفي عام ٩٥ ق.م.، خدم كضابط في ولاية آسيا أثناء بروقنصلية كوينتوس موكيوس سكايفولا. ونظرًا لصرامته واستقامته في أداء مهام منصبة، حظي بكراهية الفرسان. ولعل الصرامة الرواقية التي تحلى بها كانت السبب في جعل شخصيته غير جذابة.[٢]

كوينتوس موكيوس سكايفولا العراف: هو زوج ابنة لايليوس. في عام ١٣١ ق.م. أصبح أيديل للعامة. وفي عام ١٢٨ ق.م. تقلد منصب نقيب العامة، وعندما لقي جايوس جراكوس مصرعه عام ١٢٢ ق.م. كان سكايفولا برايتور، وحكم ولاية أسيا. اُشتهر سكايفولا بثقافته القانونية، وقد أخبرنا شيشرون أنه قد ارتبط به وهو في صدر شبابه ليستفيد من أحاديثه.[٣]

جايوس فانّيوس سترابو: هو زوج ابنة لايليوس أيضًا. كان قنصل عام ١٢٢ ق.م. اُشتهر بأنه خطيب مفوه ومؤرخ وفيلسوف رواقي.[٤]

ملخص المحاورة

يقع عمل شيشرون "عن الجمهورية" في ستة كتب، وقد فُقد منها أجزاء كثيرة، وعثر على أجزاء مهمة منها عام ١٨٢٢م، وقد وصل إلينا حلم سكيبو (somnium Scipionis) كاملًا بفضل الكاتب ماكروبيوس (Macrobius)، وهو ذروة هذا الحوار، ومن أشهر مقطوعات الأدب اللاتيني.[٥]

---

(1). OCD. (1949). p. 117.
(2). OCD. (1979), p. 393.
(3). OCD. (1949). p. 121.
(4). OCD. (1949). p. 62.
(5). R. C. Cross, and Woozley, A. P. (1970), *Plato's Republic a Philosophical Commentary*. London. p.18.

يبدأ الحوار بالحديث عن ظاهرة عجيبة كانت مسار حديث الناس حينها وهي ظهور شمسين في كبد السماء، ومنها ينتقل بسرعة إلى الحديث عن انقسام المجتمع الروماني إلى طبقتين. ومن هذا المنطلق يبدأ سكيبيو في توجيه الحديث عن نظام الحكم وعن الحياة المدنية، وتنتهي المحاورة بالعودة إلى السماء وعالم الفلك مرة أخرى وحلم سكيبيو. ومن خلال المحاورة نستشف أهداف شيشرون منها وهي إبداع أدب فلسفي باللغة اللاتينية يمكن مقارنته بما قدمه أفلاطون، وثانيًا سبر أغوار الجانب الأخلاقي والثقافي للحياة العامة للرومان، مع التركيز على طبيعة شخصية المواطن الروماني، فمقدمة المحاورة وختامها يركزان على سؤال مفاده ما هي مسئوليات المواطن فيما يخص المشاركة في الحياة العامة، وما هي الجوائز التي تعود عليه نتيجة لمشاركته الإيجابية فيها؛ ولهذا يركز الكتاب الثاني على أهمية دور الأفراد في الحفاظ على طبقات المجتمع بالإضافة إلى إحداث التغيير المؤثر داخل المجتمع؛ فالمجتمع يحتاج إلى أفراد مؤثرين، بشرط أن تكون الشخصية المؤثرة هذه تتمتع بالثقافة والخبرة، وحينها يمكن لهذا المواطن أن يصبح "موجهًا" rector وليس حاكمًا rex.

ويمكننا القول إن شيشرون، على غرار لوكريتيوس، قد قسم محاورته إلى ثلاث وحدات، تحتوي كل وحده على كتابين، الوحدة الأولى (الكتاب الأول والثاني) تتناول بشكل نظري الدساتير وأنظمة الحكم المختلفة، أما الوحدة الثانية (الكتاب الثالث والرابع) فتتناول المؤسسات المدنية، وتتحدث الوحدة الثالثة (الكتاب الخامس والسادس) عن رجل الدولة المثالي وكيفية تكوينه وتدريبه، وما هو ثوابه بعد الموت. وفي الكتاب الأول من كل وحدة (الكتاب الأول والثالث والخامس) نجد مقدمة على لسان شيشرون، يليها الحديث بشكل نظري؛ أما الكتاب الثاني من كل وحدة (الكتاب الثاني والرابع والسادس) فيتناول التفاصيل للأمور التي أوجزها بشكل نظري في الكتاب السابق عليه: فالكتاب الثاني يتناول تطور الدستور الروماني، والكتاب الرابع يتحدث عن المؤسسات التعليمية والرقابية في الدولة، والكتاب السادس يوضح تصرفات بعض رجال الدولة في أوقات الأزمات ويلمح إلى قمع سكيبيو ناسيكا لتيبريوس جراكوس مما تسبب في موت سكيبيو أيميليانوس. وسوف نقدم ملخصًا لمضمون كل كتاب على حدة.

الكتاب الأول:

يتحدث شيشرون في الفقرة الاستهلالية من الكتاب الأول عن رجال الدولة الذين باشروا الحياة السياسية على أرض الواقع مع ضرب أمثال من التاريخ الروماني، ويرى أن ذلك أكثر فائدة من النظريات السياسية التي تضعها المدارس الفلسفية. ثم يفند شيشرون آراء الإبيقوريين التي تدعو إلى الابتعاد عن المشاركة في الحياة السياسية لأنها تتسم بالخطورة ويضرب المثل بنماذج من التاريخ الروماني.

يبدأ الحوار بالحديث عن حدوث ظاهرة جوية وهي ظهور بقعة مضيئة في السماء على الجانب الآخر للشمس، وهو ما جعل عامة الناس يعتقدون في حدوث معجزة بظهور شمسين في السماء. ولقد قادتهم هذه الظاهرة إلى الحديث عن الفلك والظواهر الطبيعية المرتبطة به، ودفعهم ذلك إلى الحديث عن قيمة العلم بشكل عام. والحق أن تناول هذا الموضوع قبل الحديث عن أفضل نظام سياسي للدولة يهدف إلى توضيح أن السياسي لابد أن يتحلى بالعلم أولًا. تبدأ القصة بأن أيليوس توبيرو يسأل سكيبيو عن رأيه في حديث الناس في روما عن رأيتهم لشمسين في السماء، فيأتي لايليوس وفيلوس لينضما إلى المناقشة ويطرح أحدهما سؤال عن جدوى دراسة الفلك بالنسبة لرجل الدولة؟ ثم يسأل لايليوس هل عليهم دراسة الفلك في حين أنهم لا يلمون بكل شيء يخص وطنهم وعالمهم الأرضي؟ وهنا يتحدث فيلوس عن ظاهرة كسوف الشمس وكيف أن أرشميديس قام بعمل ماكيت للقبة السماوية وأن القنصل سولبيكيوس جالوس قد نقل هذه القبة إلى روما وجعله يرى كيف تعمل وما هي مدارات الأجرام السماوية في الفضاء، وهنا يشرح سكيبيو كيف استفاد جالوس من معرفته بخسوف القمر عندما حدثت هذه الظاهرة أثناء الحرب وشعر الجنود بالخوف، وكيف أن جالوس هدأ من روعهم قبل معركة بيدنا وشرح لهم كيفية حدوث هذه الظاهرة. ونفهم من هذه القصة أن دراسة جميع العلوم ومن بينها الفلك من المتطلبات اللازم توفرها في رجل الدولة؛ وهكذا أصبح سؤال لايليوس عن جدوى دراسة الفلك مرفوض. وعندما نعلم أن شيشرون أنهى المحاورة بالحديث عن الفلك في معرض حديثه عن حلم سكيبيو، فإن هذا الموضوع إذن يمثل الإطار الخارجي للمحاورة.

وفي النهاية يشير لايليوس إلى أن المعرفة والتأمل العلمي على غرار ما فعله الإغريق يجلب المتعة، ولكنه مع ذلك يسهم بالقليل أو بلا شيء على الإطلاق في حل المعضلات الأخلاقية التي تواجه الإنسان في حياته أو تواجه الدول. ويرى أنه قد آن الأوان إلى وضع النظريات جانبًا والاهتمام بالحلول العملية. ويقترح عليهم الحديث عن أفضل نظام سياسي.[١]

تعريف معنى الجمهورية:

يشير لفظ (res publica) ويعنى "الشأن العام أو الجمهورية" إلى الشيء العام الذي يمتلكه الشعب (res populi) أو إلى "دولة" تقع مسئولية حكمها على عاتق الشعب وتكون السلطة فيها له. وقد أراد شيشرون من تأليفه لمحاورة الجمهورية إصلاح شؤون روما والعودة إلى الدستور الذي كان قائمًا قبل تدهور أحوال الجمهورية بعد قيام الائتلاف الثلاثي الأول الذي صاحبه ازدياد النزعة الفردية بين القادة العسكريين ورغبة بعضهم في العودة إلى الحكم الملكي الفردي.

ويرى شيشرون أن الشعب (populus) هو مجموعة من الناس تجمعوا في مكان ما ليكونوا دولة (civitas) يعيشوا فيها وتظلهم العدالة (iustitia) حيث يكون جميع المواطنين متساوين أمام القانون، وهذه الصورة تعكس الصورة المثالية للجمهورية والحياة الأخلاقية التي ينادى بها شيشرون في المجتمع الروماني.[٢] ولعل أفضل تعريف للجمهورية هو الذي ورد على لسان سكيبيو:

> "سكيبيو: حسنًا، إذن الجمهورية هي ما يملكه الجمهور من أفراد الشعب، لكن مفهوم كلمة الشعب لا يعني أي جماعة من البشر اتحدت بطريقة ما، بل حشد غفير من الناس اتحدوا فيما بينهم من خلال الاتفاق على احترام القانون والتعاون من أجل الصالح العام. والحق أن الدافع الرئيس لهذا الاتحاد ليس شعور الفرد بالعجز وحده، بقدر ما هو تلك الروح الاجتماعية التي تغرسها الطبيعة في البشر؛ لأن ذلك الجنس البشري لا يحيا منفردًا وليس مخلوقًا غير اجتماعي، بل إنه قد خُلق بمثل هذه الطبيعة، بحيث إنه مع عدم افتقاره لوفرة من كل الموارد (فإنه لا يرغب في العيش منفردًا) ...."[٣]

---

(1). G. H. Sabine, & Smith, S. B. (1976), p.70.

(2). L. O. Andrew, (1999), *The Constitution of the Roman Republic*, London. p. 221.
أحمد خليل إبراهيم(٢٠٠٤)، ص٢٦، ٢٨.

(3). (Cic., De Rep. I. 39. XXV. 1- 9)

الدولة المثالية:

إن الموضوع الرئيس الذي تدور محاورة شيشرون حوله هو الدولة بدستورها المثالي وحكومتها المثالية، وهدفه هو الكشف عن أفضل نظم الحكم والبحث عن أحسن دستور لها.

لقد ظلت الدولة المثالية حلمًا ملحًا على عقول الفلاسفة والشعراء نتيجة لرفض واقعهم السياسي والاجتماعى، وتصورهم لعالم أفضل قد لا يمتلكون إمكانية تحقيقه في الواقع، فيظل حلمًا ورؤية عقلية مغايرة، رافضة لواقعهم المُعاش، وقد يكون قابلًا للتحقق فيصبح واقعًا. يكاد مفهوم الدولة المثالية أن يكون صعب المنال، تلك الدولة التي لا تتفق وعالم السياسة الذى يتسم بالشد والجذب كأمواج البحر المتلاطمة والمتصارعة، وقد أدى رفض الواقع السياسي المتغير والمتصارع إلى ظهور حلم الدولة المثالية التي تنعم بحالة من التناغم والانسجام بين طبقات المجتمع، وتتسم بالهدوء والاستقرار والتوازن، وهو تصور أخلاقي فى المقام الأول للدولة المثالية، حيث كان التوافق بين طبقات المجتمع هو محور نظرية الدولة عند اليونان، ولقد أحيا شيشرون لدى الرومان في القرن الأول ق.م، الحلم الأفلاطوني بتخيل الدولة المثالية، وكانت روما من وجهة نظره تجسيدًا للنموذج المثالي للدول.[١]

ولعل الدافع الأقوى لتصور شيشرون للدولة المثالية كان تمجيد الفضائل الرومانية التقليدية المتصلة بالخدمة العامة، وتنوير القائمين عليها وتوسيع آفاقهم عن طريق صبغ تفكيرهم بصبغة الفلسفة اليونانية، فلم يكن هدفه السياسي إذن شيئا أكثر من العودة بعقارب الساعة إلى الوراء والرجوع بالدستور الجمهوري إلى النمط الذى كان عليه قبل الثورة الاجتماعية التي أدخلها تيبريوس جراكوس[٢]، ومن المعروف أن هذه الثورة التي قام بها الأخوان تيبريوس وجايوس جراكوس كانت عاملًا حاسمًا من العوامل التي أدت إلى انهيار الدولة الرومانية، على الرغم من كونها في بدايتها حركة إصلاح وتحسين لأحوال طبقة العامة، حيث رأى تيبريوس أن السبب

---

[١]. محمد جمال كيلانى، (٢٠١٢)، "تصور الدولة المثالية بين أفلاطون وشيشرون"، مجلة أوراق كلاسيكية العدد الحادى عشر، القاهرة. صص٩٧-٩٨.

[٢]. جورج سباين، (٢٠١٠)، *تطور الفكر السياسي* .ك ٢. ترجمة: حسن جلال العروسى، مراجعة وتقديم: عثمان خليل عثمان، تصدير: عبد الرازق السنهورى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ص٥١.

الحقيقي لفساد الحياة السياسية هو الحالة الاقتصادية وبقاء أعداد كبيرة من العامة معدمين وعاطلين عن العمل، فظهر الصراع وانشقت الدولة الرومانية بين تيبريوس والجمعية القبلية التي تشرع لصالح طبقتها الشعبية ومجلس الشيوخ الذى يشرع لصالح النبلاء؛ ولما أصر تيبريوس على موقفه بتحديد مساحة الأراضي التي في حوزة الأثرياء وأيده العامة في ذلك، لم يجد مجلس الشيوخ بدًا من استخدام العنف واغتيال تيبريوس جراكوس، وكانت هذه هي أول حادثة عنف فى الحياة السياسية الرومانية[١]. ومن هذه الواقعة– أي مصرع تيبريوس– تعلّم شيشرون أن يأخذ جانب مجلس الشيوخ في محاولته لإصلاح الدولة الرومانية على الرغم من كونه من طبقة الفرسان، وهو ما جعله يتولى منصب القنصلية عام ٦٣ ق.م ذلك المنصب الذي اعترض شيشرون أثناء توليه على زعماء الشعب من ممثلي طبقة العامة؛ لأنه رفض الديمقراطية كحكم للدهماء، وقد حاول شيشرون أن يدخل على الدستور الروماني تعديلًا جديدًا يحقق مثله الأعلى وهو التوفيق بين الطبقات في روما.[٢]

أنظمة حكم الدولة الثلاث:

طرح شيشرون مسألة نظام الحكم الأمثل والمواطن الأفضل، وعندما ناقش أفضل نظام للحكم وضع الجمهورية الرومانية نصب عينيه، إذ اعتبرها أفضل نظام لأنها تجمع بين مزايا أنظمة الحكم الثلاثة المشهورة: الملكية والأرستقراطية (حكم الصفوة) والديموقراطية، والدولة التي يفضلها هي الصورة المثالية للجمهورية الرومانية[٣] كما قال شيشرون من خلال حديث لايليوس وسكيبيو:

"لايليوس: لكن ما هو رأيك أنت، يا سكيبيو؟ أي من أنظمة الحكم الثلاثة تلك تفضله أنت كثيرًا؟

---

[١]. مصطفى العبادى، (٢٠٠٩)، *الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة. ص٣٩–٤٠.

[٢]. مصطفى العبادى، (٢٠٠٩)، ص٤٤.

[3]. M. C. Niall, (1998), "Cicero's Dream of Scipio", From the Latin text of Cicero, M.T. De re publica. (Ed. Zetzel. J.E.G.), Cambridge University Press.
www.//duke. usask.ca/niallm.
J. E. G. Zetzel, (2001), p.184.

سكيبيو: لقد أصبت بسؤالك لي عن أي من أنظمة الحكم الثلاثة أُزكي، حيث إنني لا أستحسن أي منها عند تطبيقه منفردًا، إذ أرى أن النظام الذي يجمع بينهم جميعًا يعد أفضل من أي نظام منها بمفرده. لكن لو كان لزامًا عليَّ أن أختار نظامًا واحدًا فقط من بينهم، فإنني أفضل النظام الملكي وأثني عليه وأعده أفضلهم ..... في هذا النظام، الذي أطلق عليه الشكل البدائي للحكم، أرى أن لقب الملك يشبه لقب الأب لدينا، فهو يكلؤ مواطنيه برعايته مثلما يرعى الأب أبناءه، ويسعى جاهدًا في سبيل الحفاظ (على حريتهم لا إلى ردِّهم إلى العبودية، لذا فإنه من مصلحة الفقراء والضعفاء) أن يضعوا أنفسهم في رعاية رجلٍ واحدٍ يتجسد فيه قمة النبل والمنزلة الرفيعة. وهنا يستوقفنا نحن النبلاء الذين يدعون أن بمقدورهم تحقيق هذا الأمر ذاته على نحوٍ أفضل، ويرددون أن الحكمة لدى مجموعة من الرجال تفوق حكمة رجل واحد، وكذلك الحال بالنسبة لتحقيق العدل والوفاء بالعهد."[1]

حدد سكيبيو إن الشعب هو الذي يؤسس الدولة، ويعترف بالحاجة إلى الحكومة. ويُبين أن هناك ثلاثة أنظمة من الحكم:

الأول: الحكم الملكي حيث يحكم الدولة رجل واحد.

الثاني: الحكم الأرستقراطي (حكم الصفوة) ويحكمها مجموعة محدودة من الرجال المثقفين.

الثالث: الحكم الديموقراطي يحكمها جميع الناس.

وكل شكل من أشكال الحكومة عند سكيبيو له خصائص مرغوبة وله أيضًا عيوب متأصلة، فكل نظام قد يتحول من حكم جيد إلى حكم سيء، فالملكية تتحول إلى الاستبداد والطغيان، والأرستقراطية تتحول إلى الإوليجارخية (حكم الأقلية)، والديموقراطية تتحول إلى الغوغائية والفوضى.

يعلن سكيبيو تفضيله للملكية بين الأنواع الثلاثة. وقد طرح حجج دينية وفلسفية ونفسية وتاريخية لدعم الملكية ويعزو المعارضة الرومانية إلى الملكية بشكل شبه كامل لسلوك تاركوينيوس

(1). (Cic. De Rep. I, 54 -55. XXXV. 1- 16)

سوبربوس آخر ملك روماني، الذي أذاق الرومان سوء العذاب، فجعل الرومان يكرهون كلمة ملك. وعلى الرغم من أن سكيبيو يؤكد أن الملكية هي أفضل أشكال الحكم الخالصة، فإنه يعتقد أن الشكل المثالي ليس بأي شكل من الأشكال الثلاثة، بل دستور مختلط يجمع بين فضائل كل من الأشكال الثلاثة سلطة الملكية وحكمة الأرستقراطية وحرية التعبير عن الرأي في النظام الديموقراطي.[١]

إذن كانت أول قضية يناقشها شيشرون في محاورة الجمهورية هي السلطة الحاكمة أو نظام الحكم والدستور الذي ستقوم عليه الدولة، وبعد تعريف شيشرون للدولة يبدأ في مناقشة الأنظمة القائمة على إدارة شؤون هذه الدولة، معتبرًا أن النظام الملكي أفضل الأنظمة في حالة واحدة وهي عندما يكون الحاكم عادلًا، ويرى أن الملك في دولته المثالية كالأب بالنسبة لأبنائه يعتنى بهم ويحميهم ويحافظ عليهم[٢]. ومن ناحية أخرى فإن على الدولة تخصيص أراضي للملك وتقوم بزراعتها له لكي يتفرغ الملك لشؤون الحكم.

ومن خلال بحثه في أشكال الحكم الثلاثة الأساسية وتوضيحه لنظم الحكم المعروفة فإن كثيرًا ما تظهر عدم ثقة الرومان في النظام الديموقراطي، أما عن رأي شيشرون الخاص فيعبر عنه سكيبيو في هذه المحاورة بتفضيله لدستور خليط من الأنواع الثلاثة شريطة أن يوجد بينها اتزان، ولو اضطر إلى اختيار نوع واحد بعينه لاختار الملكية. وفيما يبدو أن شيشرون كان يأمل في الملك الفيلسوف الذي تصوره أفلاطون[٣]. إن شأن الدولة هو شأن الشعب، فهو يريد أن يجمع كافة أفراد الشعب والطبقات، كما قال شيشرون:

> "وبناءً على ذلك فإن كل شعب، الذي هو بمثابة تجمع لحشد كبير حسب وصفي، وكل دولة، التي هي بمثابة كيانٌ يجمع بين أفراد الشعب، وكل جمهورية، التي حسب قولي

---

(1). J. G. F. Powell, (1995), *Cicero, The Philosopher, Oxford*: Clarendon Press. p. 24.

(2). B. Francis, (2005), *Marcus Tullius Cicero, Treatise on the Commonwealth (54BC)*, The Online Library of Liberty. London p. 60.

(٣). د ف. ج. و (١٩٦٤)، *تاريخ الأدب الرومانى*، ترجمة: محمد سليم سالم، راجعه: محمد صقر خفاجة، مركز كتب الشرق الأوسط، ج٢، القاهرة. ص ١٤٣... وكذلك راجع:

W. J. Atkin, (2013), *Cicero on Politics and the Limits of Reason. The Republica and Laws*. Cambridge University Press. p. 26.

بمثابة الكيان المملوك لأفراد الشعب، يجب أن تُحكم من قِبَل سلطة ما، وذلك من أجل الحفاظ على بقائها. ويجب على تلك السلطة أن ترتبط في المقام الأول وبشكل دائم بتلك المبادئ التي قامت على أساسها الدولة. كما يجب، في المقام الثاني، أن يتولاها شخص واحد، أو يديرها نخبة ما، أو أن يضطلع بشؤونها جموع الشعب كله. وعلى ذلك عندما تكون السلطة العليا في كل الأمور في قبضة رجلٍ واحد، فإننا نطلق على ذلك الرجل الواحد لقب الملك، ونطلق على نمط حكم الدولة اسم الملكية. لكن عندما تكون السلطة في يد نخبة مختارة، فإنه يُقال على تلك الدولة إنها تخضع لحكم الطبقة الأرستقراطية."[١]

إن حديث شيشرون في بداية الكتاب الأول عن أشكال الحكم مستمد من نظرية أرسطو لأنواع الحكم الثلاثة: "الفردي" و"الأرستقراطي" و"الديموقراطي"، وهو يرى حتمية فساد تلك النظم إذا انقلبت إلى أنماط متطرفة، فالحكم الفردي يتحول إلى الطغيان، والحكم الأرستقراطي يتحول إلى حكم الأقلية، والديموقراطي يصبح حكم الدهماء. ثم يؤيد سكيبيو وجهة نظر المؤرخ الإغريقي بوليبيوس بأن الدولة الرومانية قد حُفظت من تلك الحتمية الأرسطية وذلك بالوسطية بين هذه الأشكال الثلاثة الأساسية: فالحكم الفردي (الملكي) يتمثل في وظيفة القنصل، والحكم الأرستقراطي يتمثل في مجلس الشيوخ، والحكم الديموقراطي يتمثل في المجالس الانتخابية (Comitia).[٢]

لم تكن الأنانية السياسية خطأ وقعت فيه الأرستقراطية أو الأوليجارخية (حكم الأقلية) وحدها، إذ لم تخل الديموقراطية نفسها من هذه الرذيلة، إلا أن أنصارها يعتقدون أن الدولة الصحيحة هي الدولة الديموقراطية لأنها لا تخدم مصلحة معينة، فهي تعطى كل طبقة حقها كما تمثل المجتمع بأسره، بينما لا تمثل الأوليجارخية إلا مصالح شريحة من المجتمع، كما تفسح المجال أمام الأغنياء في ميدان المال وأمام الحكماء في نطاق المشورة وأمام الجماهير عند اتخاذ القرارات.[٣]

---

[1]. (Cic. De Rep. I. 41-42. XXVI. 8- 20)

[٢]. على عبد التواب على، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، ص٢٢٣.

[3]. J. Zarecki, (2014), *Cicero's Ideal Statesman in Theory and Practice*, London. p. 34.

الكتاب الثاني:

يُوضح سكيبيو في الكتاب الثاني كيف تمت كتابة دستور الجمهورية الرومانية، ويقتبس من رأي كاتو الأكبر فى أن تفوق الدستور الروماني يكمن في الحقيقة في أنه دستور لم يكتبه فرد واحد، على عكس الدساتير اليونانية التي تم إنشاؤها من قبل المشرعين الفرديين، بل جاء على نحو تراكمي عبر سنوات طويلة ومن قبل العقل الجماعي داخل مجلس الشيوخ، وبناء على دراسة دساتير الشعوب الأخرى.[١]

تناول شيشرون نظرة عامة لتاريخ مدينة روما منذ لحظة تأسيسها على يد رومولوس وقيام الحكم الملكي على يد مؤسسها رومولوس، وتعاقب سبعة ملوك على هذه الفترة، ثم تناول سقوط النظام الملكي وقيام الجمهورية. قدم سكيبيو رومولوس كمثال للحاكم الصالح في أول أشكال الملكية النقية، كمت أولى اهتمامًا كبيرًا لاختيار رومولوس موقعًا مناسبًا لمدينته، فهو لم يجعلها تطل على البحر؛ وذلك لحماية مواطني مدينته الجديدة من التأثيرات الأجنبية وغير الحضارية مثل التأثر بالعادات والتقاليد للأجانب وبلغتهم كذلك، وهو من عيوب المدن الساحلية، كما أن المدن الساحلية أكثر عرضة للغزو من المدن التي تبتعد عن الساحل، ولكنه جعلها قريبة من البحر؛ وذلك لتتمتع بحركة تجارية جيدة. ويشيد بإنشاء رومولوس لمجلس الشيوخ باعتباره اعترافًا مهمًا من قبله بقيمة الخبرة في إدارة الدولة والأهمية التي يوليها الملك لصنع القرار. إن حديث سكيبيو عن إنجازات رومولوس يلمح إلى شعور الرومان بأنهم شعب مختار، ويثني لايليوس على رأي سكيبيو من منطلق أنه يستمد رأيه المثالي من واقع التاريخ وليس من الناحية النظرية.

عرض سكيبيو إنجازات الملوك الرومان الآخرين وخاصة الملك السادس في تقسيمه لطبقات المجتمع، وكيف أنه نظم عملية اقتراع المواطنين بحيث يكون للأقلية المثقفة وزن صوتي أعلى من الأغلبية الجاهلة. وقد لخص شيشرون كلامه عن أصل الطغيان عند تناوله لسيرة الملك السابع، ثم حلل التطورات التي طرأت على الدستور منذ فجر الجمهورية وخاصة تعديل النظام الملكي ليصبح هيئة منتخبة سنويًا، بالإضافة إلى تعزيز سلطة مجلس الشيوخ التي اعتبرها سكيبيو وسيلة

محمد جمال كيلانى، (٢٠١٢)، ص١٠٠.

[1]. G. H. Sabine, & Smith, S. B. (1976), p.105.

لفرض قيود أرستقراطية على الحرية الديموقراطية، وقد ركز شيشرون على وصف نضال العامة من أجل الحصول على المزيد من الحقوق الدستورية العامة وتوثيق ذلك الدستور الروماني الأول على ألواح برونزية أي الألواح الاثني عشر[١].

يعود شيشرون للحديث عن أنظمة الحكم الثلاثة ويذكر في الكتاب الثاني من الجمهورية أن أسوأ أنواع الحكم هو حكم الطغاة ويضيف فكرة أن تحول الملك إلى حاكم مستبد ما هو إلا تحول إلى الديكتاتورية. وينتقد شيشرون النظام الملكي إذا تحول الملك إلى طاغية مستبد لا يستمع إلى مطالب شعبه؛ ولذلك يفضل ألا تبقى السلطة في يد رجل واحد لمدة طويلة[٢]. فالملكية في نظر شيشرون في أغلب الأحيان تضطهد الحريات وهو ما يُعد تحولاً طبيعيًا للملكية إلى الاستبداد الذي يسلب الحريات.

وتظهر الأرستقراطية عندما تفسد الملكية فتنهض جماعة من الأرستقراطيين تقاوم الحكم القائم وتطرد الملك وحكومته، ويذكر شيشرون أنه عندما تنهض هذه الجماعة وتقوم بطرد الملك تصبح هذه القوة الجديدة التى ينتخبها الشعب حكومة أرستقراطية، لذا لا يعتبر شيشرون الأرستقراطية أفضل أشكال الحكم، حيث يجد فيها من العيوب ما في الملكية، فالأرستقراطية إذا تحولت إلى حكم أقلية صارت أسوأ من حكم الملك الطاغية، فبدلًا من أن يكون لك طاغية واحد صار لديك مجموعة من الطغاة، فلا شيء أسوأ من استبداد فئة ما بالحكم.

وتظهر الديموقراطية عندما تفسد الحكومة الملكية وتتحول إلى حكومة طغيان واستعباد للشعب وكذلك عندما تفسد الحكومة الأرستقراطية وتتحول إلى حكومة الأقلية التى يكون جل اهتمامها هو جمع الثروات وتحقيق أكبر قدر من المكاسب المادية. وعلى هذا فتظهر الديموقراطية التي تتألف من كل طبقات الشعب المتعطشة للحرية والمساواة عندما ينتصر الشعب على أعدائه الذين

(1). G. S. Aldrete, (2004) *Daily Life in the Roman City, Rome, Pompeii, and Ostia.* Greenwood Press. London. pp. 49-50.

(2). J. E. G. Zetzel, (1995). *Cicero De Republic*, Cambridge. p. 21.

استعبدوه وحرموه من حريته وحقوقه فيقوم بطرد الملوك أو الأرستقراطيين ويتقاسم السلطة والحكم بين أفراده بالتساوي.[١]

إذن دورة أنظمة الحكم كانت كالآتي:

١. الحكم الملكي: ويفسد ويتحول إلى حكم فردي استبدادي.

٢. الحكم الأرستقراطي: ويفسد ويتحول إلى حكم الأوليجارخية (حكم الأقلية).

٣. الحكم الديموقراطي: ويفسد ويتحول إلى ديماجوجية[٢].

فانتقال الحكم من نظام فاسد إلى آخر هو دائرة توضح تعاقب أنظمة الحكم وعدم استقرارها، ولهذا يفضل شيشرون النظام المختلط الذي يجمع حسنات هذه الأنظمة كلها؛ لأن هذه الأنظمة تفسد بينما يبقى النظام المختلط (الذى يجمع بين الأنظمة الثلاثة) لأنه ثابت ومستقر؛ ولذلك فهو يصمد أمام أي تغيير. وتعد روما تجسيدًا للنموذج المثالي بالنسبة لشيشرون في رؤيته للدولة المثالية، على أساس أن الجمهورية حقيقة واقعية، إذ إن الدولة الرومانية قد وصلت إلى حد الكمال في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وأن سر تفوقها يكمن في انتقال وتوارث خبرات الأجداد بين الأجيال المتعاقبة.[٣]

ويرى شيشرون أن انفراد فئة من الفئات الثلاث بالحكم لا يسمح باستقرار الدولة وصلاحها؛ لأن كل نوع من الأنواع الثلاثة يكون قابلًا للفساد بسهولة إذا ما كان منفردًا. فيحل حكم الطغيان أو الاستبداد محل الحكم الملكي، وحكم أرباب المال (الحكم الأوليجارخي) –الذي لا يهمه إلا جمع المال والثراء الفاحش على حساب الأغلبية الفقيرة من المواطنين– يحل محل حكم الأعيان (الحكم الأرستقراطي)، ويحل حكم الغوغاء والفوضى محل الحكم الشعبي. ويرى شيشرون أن هذا التحول من شكل إلى آخر يتم في الغالب عن طريق العنف والحروب الأهلية، وهو ما يؤدي إلى الفوضى وعدم الاستقرار، فإفراط الديموقراطية في الحرية ينجم عنها حكم الغوغاء؛ لأن الكثير من الحرية

---

(1). E. Asmis, (2005) "A New Kind of Model: Cicero's Roman Constitution in De republica", *AJPh*: (126), No. 3, pp. 397- 398.

(2). C. W. Keyes, (1998) *Cicero: On the Republic, On the Laws*, Cambridge, Mass. p. 54.

(٣). أحمد خليل إبراهيم، (٢٠٠٤)، صص ٤٩–٥٠، كذلك راجع:

E. Asmis, (2005) p. 401.

C.W. Keyes, (1998) p. 55.

يولد الكثير من الظلم وينتج أسوأ نظام للحكم. ويشبه الشعب المتمرد على السلطة بأكملها بالحيوان المفترس الذي ينقض على فريسته.[١]

الكتاب الثالث:

في الكتاب الثالث يناقش شيشرون مفهوم العدالة، وقد اتفق أعضاء المحاورة على أن يقدم فيليوس الحجج الداعمة للرأي الذي ينادي بأن مصالح الدولة تتقدم بشكل أفضل من خلال سعيها لسياسات غير عادلة، أما لايليوس فيقدم الحجج المعارضة، أي أنه لا يمكن لأي دولة أن تستمر في الوجود بدون عدالة. ثم يتبع سكيبيو النقاش ويوضح أن الدولة تدمر نفسها بسبب غياب العدالة.

العدل أساس الحكم:

يؤكد شيشرون في الكتاب الثالث على أن العدل أساس الحكم، وأساس الاعتراف المشترك بالحقوق. ففي الكتاب الأول أشار إلى أن كلمة populus تشير إلى مجموعة من الناس تجمعوا في مكان ما ليعيشوا معًا تحت مظلة العدالة iustitia، وهذه الصورة تعكس اهتمام شيشرون بالعدالة فى جمهوريته[٢]، ويناقش أهمية العدالة فى الكتاب الثالث حيث يقول فى بدايته:

"يجب علينا من ننشد العدالة، التي هي أكثر قيمة من كل ذهب العالم،"[٣]

يستعرض شيشرون أهمية العدالة على لسان محاوريه الذين يقولون إن العدالة التى يتباحثونها على المستوى العام في الدولة ليست من قوانين الطبيعة، فالشعوب لا تتوافق على مفهومي العدل والظلم، فما يراه شعب أنه عين العدل، يراه شعب آخر أنه الظلم بعينه، فلا يتفق البشر حول العدل والظلم مثلما يتفقون حول الإحساس بالحرارة والبرودة، والمرارة والحلاوة[٤].

وبما أنه يتحدث في الكتاب الثالث عن العدالة فقد خصص جزء كبير منه لرفض النقد اللاذع الذي وجهه الفيلسوف الأكاديمي كارنياديس (Carneades) للإمبريالية الرومانية. ويرتكز هذا النقد

---

(1). G. S. Aldrete, (2004), pp.70-71.

(٢). أحمد خليل إبراهيم، (٢٠٠٤)، ص٥٣.

(3). (Cic., De Rep. III. 8.V.11- 12)

(4). (Cic. De Rep. III. 13. VIII. 5- 8)

حول نظرية "الحرب العادلة"، تلك النظرية التي تبناها الرومان تحت ادعاء مساعدة الحلفاء وقت المحن. وقد وظف شيشرون ذلك النقد في تبرير التوسع التدريجي للإمبراطورية في النفوذ والهيمنة.[١]

ويأخذ الحوار شكل الخصومة بين المؤيدين والمعارضين للعدالة في الدولة، فيتخذ فيلوس موقف العداء ويشير إلى أقوال كاردنيادس في احتياج الدولة لشيء من الظلم، فالمساواة لا تعني العدل، فيحاول أن يثبت أن العدالة ليست من قوانين الطبيعة: [٢]

" (فيلوس: لو أن العدالة من قوانين الطبيعة، لكانت الطبيعة هي) التي سنت لنا القوانين، ولخضعت كل الشعوب لنفس القوانين، وما استخدم شعب واحد قوانين مختلفة في فترات زمنية مختلفة. والآن أطرح عليكم هذا السؤال: إذا كان على الإنسان العادل والرجل الصالح أن يطيع القوانين، فأي قوانين عليه أ ن يطيعها؟ هل عليه أن يطيع كل القوانين المختلفة المعمول بها؟ ..... فالناس تطيع القوانين خوفًا من العقاب."[٣]

الكتاب الرابع:

يتحدث شيشرون في الكتاب الرابع عن الدستور المدني وفيه يؤكد على أنه يجب أن يوفر للمواطنين حياة سعيدة شريفة (Beate et honeste vivendi)، كما أوضح أنه يجب على الأفراد الاهتمام بتعلم الشعر والدراما. وعلى هذا فإن الاهتمام الحقيقي للدولة هو سد حاجة المواطن وكفايته من مأكل ومسكن وملبس، ومطالبات الحياة؛ فالدولة تنشأ فى رأيه من عجز الفرد عن الاكتفاء بذاته وحاجته إلى أشياء لا حصر لها، ولما كانت حاجات الفرد عديدة وهو لا يستطيع القيام بها وحده، فهو إذن في حاجة إلى مساعدة الآخرين، وكذلك فإن الآخرين في حاجة إلى مساعدته، وتعد الحتمية الطبيعية للاجتماع البشري أصل نشأة المجتمعات السياسية وبالتالي نشأة الدولة، وتعد الغاية الاقتصادية هي الغاية الأصلية للدولة وهي تقوم على مبدأ التخصص وتقسيم العمل، وسرعان ما يتحول الاهتمام بالدولة إلى مشكلة التربية، فالدولة لا تهتم بتلبية الحاجات

---

[١]. على عبد التواب على، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، صص٢٢٣-٢٢٤.

[٢]. أحمد خليل إبراهيم(٢٠٠٤)، ص ٥٣-٥٤.

[3] . (Cic. De Rep. III, 18- 19. XI, 1- 12)

الاقتصادية للناس فحسب؛ لأن الإنسان ليس إنسانًا اقتصاديًا فقط، وإنما وجدت الدولة لتحقيق سعادة الناس وتنميتهم في حياة خيرة صالحة وفقًا لمبادئها.[١]

وعلى الرغم من فقدان جزء كبير من الكتابين الرابع والخامس، إلا أنه يتبين من الكتاب الرابع أن قضية التربية والتعليم كانت تشغل بال شيشرون وأنه لم يقترح نظامًا تربويًا بعينه لدولته المثالية التي كان يتمنها، ولكنه كان على دراية بما يلائم الأسرة الرومانية.

ويؤكد على ضرورة أن يشمل التعليم غرس المبادئ الأخلاقية وتدريب الجسم على تحمل المشاق[٢]، وعلى أهمية التعليم الفكري مع التربية البدنية وينتقد الممارسة اليونانية المتمثلة في ممارسة العري، ويتفق مع أفلاطون في جمهوريته في التأثير غير الأخلاقي للشعراء، ويضاف إلى ذلك حثه على تدريب الشباب على الموسيقى خاصة وأنها تثير المشاعر الجميلة وقد كان شيشرون يقدر الموسيقى حق قدرها وقد استمد هذا من أقوال أفلاطون.[٣] ويمكن القول إن شيشرون يحصر التربية الموسيقية في تعليم الأنماط التي تملك تأثيرًا يعالج المشاعر والأحاسيس والتي تحصن النفس من الخوف.[٤]

ثم يتحدث بعد ذلك عن المواطن الصالح optimus civis والحاكم المثالي الذي هو في نظره الأحسن من بين الصالحين كلهم، وهو حاكم مطلق وقت الأزمات ويجب أن يحكم وفقًا للدستور ويسميه حاكمًا rector وليس مواطنًا أول princeps؛ وذلك لأن الأخير يجب أن يحكم في جميع الظروف وفقًا للدستور.[٥] وقد قدم شيشرون في الكتابين الرابع والخامس شخصية "المرشد والموجه للشأن العام" (rector et gubernator reipublicae)، أي شخصية "المواطن الأول" (Princeps)، وجدير بالذكر أن هذا الجزء من النص به الكثير الفجوات.[٦]

---

(1). Zetzel. J. E. G., (2001), p. 89.

(2). Zetzel. J. E. G., (1995), p. 17.
W. W. How, (1990),"Cicero's Ideal in His de Republica", *JRS*, Vol. 20, p. 33.

(3). G. H. Sabine. and Smith. S. B. (1976), p. 66., Aldrete. G. S. (2004), p.70.

(4). J. E. G. Zetzel, (1995), p. 17., W. W. How, (1990), p. 34.

(٥). عبد العظيم محمد (١٩٨٢)، الأدب الرومانى من البداية حتى نهاية عصر شيشرون، القاهرة، ص٢٣٤.

(٦). على عبد التواب على، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، ص٢٢٤.

الكتاب الخامس:

في الكتاب الخامس يقدم شيشرون مناقشة اليوم الثالث وفيها يأسف على الانحطاط الأخلاقي والسياسي الذي وصل إليه الرومان، ويعلن أن أحسن وسيلة لخلق السعادة في المجتمع هي وجود مدبر الحكم moderator reipublicae، فعلى عاتق مثل هذا الحاكم يقع تقدم الشؤون الاجتماعية، كما تتعلق سلامة ركاب السفينة على من يمسك بدفتها، وكما تعتمد جودة الصحة على الطبيب، والنصر على القائد، وكأنه يشير إلى بومبى.[١]

يتحدث شيشرون في الكتاب الخامس أيضًا عن السياسي الأمثل Rector ودوره وسلطته وصفاته ومنها القدرة على إدارة شئون الدولة، وأن يكون خبيرًا بشئون العدالة وملمًا بالقوانين المدنية وأيضًا على دراية بكافة الفنون حتى يستطيع أن يتعامل مع كافة المشكلات التي تواجه الدولة، وأن تكون لديه القدرة الكافية على تحمل كافة المصاعب بالإضافة إلى القدرة على حل أي مشكلات تواجهها الدولة سواء كانت داخلية أو خارجية،[٢] وقد أشار إلى ذلك في قوله:

> "سكيبيو: المشرف على الحقل، إذن يعرف طبيعة الأرض، والمشرف على الأسرى يعرف كيف يقرأ ويكتب، وكلاهما مهتمان بالفائدة العملية لمعرفتهما وليس بالمتعة التي يحصلون عليها من حيازتها، وبنفس الطريقة عندئذٍ كان من المؤكد أن رجل الدولة الحاكم هذا قد بذل قصارى جهده ليصبح على دراية بالعدالة والقانون، وينبغي أن يكون قد درس أصولهم، ولكن لا ينبغي له أن ينشغل باستمرار بالمشاورات وبالقراءة والكتابة حول هذه الموضوعات، ويجب أن يكون قادرًا على أن يدير الجمهورية مثل من يشرف على الزراعة؛ فيجب أن يكون ملمًا تمامًا بالعدالة في أعلى جوانبها، لأنه بدون ذلك لا يمكن لأحد أن يكون عادلًا ويجب ألا يجهل القانون المدني، لكن معرفته بها يجب أن تكون مثل معرفة الربان بالنجوم، أو معرفة الفزيائي بالطبيعة؛ وكل منهما يستخدم علمه في مهنته الخاصة، ولكن لا يسمح لها أن تمنعه من واجباته الخاصة.[٣]"

---

[١]. د ف. ج. و (١٩٦٤)، ص ١٤٤.

[2]. J. G. F. Powell., (1995), p. 24.>

[3] . (Cic., De Rep. V. 4. III. 8- 19)

الكتاب السادس:

تنتهي محاورة شيشرون عن الجمهورية في الكتاب السادس بحلم لسكيبيو، وفيه يرى سلفه سكيبيو الأكبر قاهر هانيبال، وكيف أنه يحيا حياة الصالحين في السماء، ويأمره بأن يجهز نفسه لهذه الحياة في جنات النعيم بعد أن يموت ويترك الحياة الدنيا، وبهذا فإن الكتاب السادس يحتوي على سرد حلم سكيبيو الحكيم المشهور للمصير المجيد الذي ينتظر رجل الدولة الذي يضحّي بذاته بعد وفاته، مثلما أنهى أفلاطون جمهوريته بأسطورة "إر" (Er)،[١] حيث يقول شيشرون:

"(طبقًا لشيشرون فإن إر) عاد إلى الحياة بعد أن تم وضعه فوق المحرقة الجنائزية وكشف عن الكثير من الأسرار بشأن العالم الآخر. (واقترح أن) هذه الأشياء التي تُقال عن خلود الروح والسماء (ليست) من خيال الفلاسفة الحالمين، وليست من الأساطير العجيبة كتلك التي يسخر منها الإبيقوريون، بل إنها نتائج توصل إليها الحكماء من الناس.[٢]"

لقد أشار شيشرون إلى أسطورة "إر" قبل الحديث عن حلم سكيبيو، ولكنه حرص على إظهار أنه لم يقدم قصة خيالية، بل لجأ إلى حيلة بارعة عن طريق تقديم الموضوع في هيئة حلم. وفيه يحذر سكيبيو الأكبر "قاهر أفريقيا" سكيبيو الأصغر بن باولوس من أنه قد يتعرض للخطر على يد أقاربه، وأن حياته قد اقتربت من نهايتها. فعندما يبلغ السادسة والخمسين من عمره سوف تنعم روحه الخالدة بالفوز بالجنة، ضمن هؤلاء الذين حافظوا على أوطانهم[٣]. ويبلغ الحلم ذروته بالحديث عن طبيعة الروح، وجاءت موافقة لما ورد فى محاورة فايدروس عند أفلاطون[٤]. فالروح ذات طبيعة إلهية، ويجب الحفاظ عليها، وهي خالدة وغير فانية فى قوله:

"infra autem iam nihil est nisi mortale et caducum praeter animos munere deorum hominum generi datos, supra lunam sunt aeterna omnia."

---

(1). (Plat., Republic. 614.b, c, d1-5.); Niall. M. C., (1998), p. 32.

(2) . (Cic., De Rep. VI. 3. III. 1- 6)

(3). M.C. Niall, (1998), p. 34. See also:
K. Frandreas, (2010), Commentary on Cicero, De Republica, VI, 18 & 19 (Harmony of Spheres). USA. p. 23.

(4). (cf. Plat., Phaedrus. 245C -245E.)

(Cic., De Rep. VI. 17. XVII. 20- 22)

"لكن ما من شيء يقع أسفل (القمر) إلا كل ما هو فانٍ وزائل باستثناء الأرواح التي منحتها الآلهة للبشر، في حين أن كل ما يعلو القمر خالد."

إذن يؤكد شيشرون على لسان سكيبيو أفريكانوس أن الأرواح منحة من الآلهة للبشر، وأنها غير فانية وغير زائلة ومكانها في السماوات العلا أسفل القمر. ويمكن القول إن عبارة **" animos munere deorum hominum generi datos,"** تتضمن الإشارة إلى مكان الرجال بجوار الآلهة في السماوات العلا، وهو ما يعزز المعنى الكامن في أن الروح هي بذرة إلهية داخل الإنسان، فهو غالبًا ما يتلاعب بالألفاظ. ولقد استمد شيشرون أفكاره عن الروح من الأفكار الفلسفية اليونانية، فهو يرى أن الروح جوهر مستقل وصفة خارجية عن الجسم وهي تهبط من عالم المثل فتحل في أحد الأجسام وتخلع عليه الحياة والحركة، وأنها ذات إلهية تحل في الجسد لذا فهي تخرج الحياة فيه من القوة إلى الفعل فتجعلها ظاهرة بعد أن كانت خفية، فهى الباقية بعد فناء الجسد[١] مستدلًا بما قاله على لسان سكيبيو أفريكانوس في هاتين إشارتين الأولى هي:

"Et ille: Tu vero enitere et sic habeto, non esse te mortalem, sed corpus hoc;……"

(Cic., De Rep. VI. 26. XXIV. 7- 8)

"فأجابني قائلًا: " ابذل قصارى جهدك، وكن على يقين أن جسدك فقط هو ما يفنى،"

والثانية:

"sic fragile corpus animus sempiternus movet."

(Cic., De Rep. VI. 26. XXIV. 16)

"فإن الروح الخالدة تحرك الجسد القابل للفناء."

فهو يريد أن يجعل للروح مكانة عالية، يكاد ألا يكون لها أدنى صلة بالأجسام، كما يُمكنها أن تحل بأى جسد. [٢]

(1). P. Mackendrick, (1989), p.77.
(2). P. Mackendrick, (1989), p.78.

وبما إن شيشرون يعتبر أفلاطون مثله الأعلى إذ يستمد منه الكثير من فكره الفلسفي، فقد أخذ فكرة خلود الروح من أفلاطون الذي أكد في جمهوريته على فكره خلود الروح فى أكثر من إشارة:

"ὅτι ἀθάνατος ἡμῶν ἡ ψυχὴ καὶ οὐδέποτε ἀπόλλυται;"

(Plat. Republic. 608. d. 3-4.)

"ألا تدرك أن أرواحنا (نحن أنفسنا) خالدة وأنها لا تُفنى أبدًا؟"

"ἀθανάτους τὰς ψυχὰς." (Plat. Republic. 610. c. 8-9.)

"أن الأرواح خالدة."

"Οὐ ῥᾴδιον, ἦν δ' ἐγώ, ἀίδιον εἶναι σύνθετόν."

(Plat. Republic. 611. b. 5.)

"أعنى من العسير أن يكون الكائن خالد."

" Ὅτι μὲν τοίνυν ἀθάνατον ψυχή, " (Plat. Republic. 611. b. 9.)

"فالروح إذن خالدة "[١]

ينقلنا شيشرون بعد ذلك إلى حديث سكيبيو أفريكانوس ونصائحه لسكيبيو أيميليانوس عن المكان الذي يعيش فيه مع الآلهة فى مسكنهم والسعادة الأبدية التي سينالها إذا نفذ نصائحه في قوله:

"لكن عليك، يا سكيبيو، أن تحذو على هذا النحو حذو جدك الماثل أمامك هنا[٢]؛ وحذو والدك الذي أنجبك، في تعزيز العدل وروح الانتماء، التي تعد روح عظيمة عند إظهارها تجاه الوالدين والأهل، وأعظم عند إظهارها تجاه الوطن. مثل هذه الحياة هي الطريق إلى السماء، وإلى صحبة هؤلاء الذين قضوا نحبهم، وتحرروا من الجسد، ويقطنون الآن ذلك المكان الذي تراه، (وهذا المكان عبارة عن مجرة منيرة وذات بهاء

[١]. ترجمة الفقرات اليونانية مأخوذة من كتاب: أفلاطون (١٩٨٥)، سبق ذكره، صص ٥٤٨، ٥٥١، ٥٥٢.

[٢]. المقصود سكيبيو أفريكانوس الأكبر.

فهي الأكثر ضياءً من بين المجرات). والذي تطلقون عليه، على غرار الإغريق، اسم درب التبانة (orbem lacteum).[١]"

تشير الفقرة السابقة إلى المكان الذي يعيش فيه الإنسان بعد موته شريطة أن يعزز في داخله العدل وروح الانتماء تجاه الوالدين والأهل، ويعِد الجندى الرومانى الذي يخلص لوطنه فى الحياة الدنيا بأن سيحظى بالوجود الأبدي مع الآلهة وذلك فى المكان السماوي المسمى بدرب التبانة، وهو مجتمع من الآلهة مثل المجتمع الرواقي للحكماء. ويهدف حلم سكيبيو بأكمله إلى مساعدة أيميليانوس على عيش حياة دنيوية من منظور المجتمع السماوي، الذي يعبر بوضوح عن فكر الرواقيين، ولهذا يكرس بقية الحلم لهذا المنظور السماوي لإنه من الفضائل، ويبدو بذلك أن الرواقية أصبحت هي الملهمة لسكيبيو والمطمح الذي يصبو إليه شيشرون، وتشير رحلة الإنسان الخير نحو مكان الإله السماوي في حلم سكيبيو إلى طريقة تحركة موكب النصر نحو مبنى الكابيتول الروماني، لكن الرحلة نحو الإله التي يقوم بها سكيبيو أيميليانوس تمثل تقدمًا في الفضيلة التي سيكون جزاؤها الخلود الأبدي مع الآلهة.[٢]

وفى خضم مناقشة شيشرون لفكرة الحاكم المثالي، يتحدث عن السياسي الصالح وهو أفضل الصالحين ويمكن أن يكون حاكمًا مطلقًا في وقت الشدائد، ولكن مهما كانت الظروف لابد وأن يحترم الدستور، ويسميه شيشرون المصلح لا الزعيم أو المواطن الأول؛ وحارس الدولة الشيشرونية الفاضلة لا يرجو من الدنيا أي شيء، فكل ما يرجوه هو النعيم الدائم في الدار الآخرة، وهذا هو بيت القصيد وأعني بذلك أن هذا هو السبب الذي جعل شيشرون يتحدث عن النعيم في الدار الآخرة في حلم سكيبو. ويرى الحالم أيضًا عالمًا يعيش فيه العظماء والخيرون من الرجال حياة سرمدية في تأمل مبارك حول الانسجام الكوني. فيحكي سكيبيو الأصغر (أيميليانوس) كيف أنه جلس إلى الملك النوميدى ماسينيسا، الذي كرس نفسه لتخليد ذكرى سكيبيو الأكبر. وأطال ماسينيسا حديثه حتى هبطت أسدال الظلام واشتدت حلكة الليل، حتى ظهر سكيبيو الأفريقي نفسه

(1). (Cic., De Rep. VI. 16. XVI. 1- 8)

(2). M. James, (2002), *Brill's Companion to Cicero, Oratory and Rhetoric*, Brill. Leiden. Boston. p.69.,
R. L. Gallagher, (2001), "Metaphor in Cicero's De Re Publica", in *CQ* 51, p.513.

في الحلم لحفيده بالتبنى سكيبيو الأصغر، وكشف له عن مكانته فى السماء بين النجوم. ويتضح مما يشرحه سكيبيو الأكبر وهو في موقعه الفلكي الممتاز كيف أن النجوم تكبر الأرض حجمًا بعدة مراحل. فهو يرى الأرض من العلياء فنجدها في وصفه لها صغيرة جدًا حتى أن الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف لم تعد تظهر إلا كنقطة ضئيلة للغاية. والرسالة التي يريد شيشرون إيصالها هي فكرة الخلود ولا سيما خلود العقل "فالعقل هو الذات الحقيقية (الإنسان الحقيقى)[١] "…. mens cuiusque is est quisque,"

إن الباحث المتفحص بدقة في فلسفة شيشرون سيقف عند حقيقة أثبتها مؤرخو الفلسفة وهي: أن حديث شيشرون عن الروح مضطرب وغامض فيقول حينًا إن الروح خالدة ومتميزة كل التميز عن الجسد، وحينًا آخر يقول إنها على اتصال وثيق بالجسد، وأن بينهما عراك دائم فالجسد يصرف الروح عن الفكر ويجلب عليها آلامًا كثيرة بميوله وأهوائه، وهي من جهة أخرى تحارب الجسد وتأمل في الخلاص منه، ولكن كيف يتم هذا التفاعل ويلتقي الجسد بالروح ويؤثر كل منهما في الآخر؟ هذا ما لم يُجب عنه شيشرون، فيبدو أن عنصر الخيال هو الذي طغى هنا على المنطق وجعل فلسفته تقوم على الغلو في قيمة العقل البشري.[٢]

وعن سبب وجود حلم سكيبيو فى نهاية عمل شيشرون يذكر"أتكينس Atkins" سببين: الأول هو ضياع الجزء الخاص بالحلم فى البداية، وعندما تم العثور عليه في تعليقات ماكروبيوس نُشر في نهاية المحاورة، وجاء الحلم على غرار أسطورة إر في نهاية محاورة الجمهورية لأفلاطون، وبالتالي تمت قراءته ودراسته بشكل منفصل عن بقية المحاورة. والسبب الثاني يتعلق بالمفهوم العام للنص، فالصورة العامة للحلم هي كونية وأثيرية وتتعلق بالفضاء من ناحية، ومن ناحية أخرى تتعلق بالعالم الآخر، ومعنية بالأبدية والخلود في الدار الآخرة، وفيما يبدو أن الفلسفة السياسية للكتب الخمسة الأولى كانت مركزة على السياسة في روما، ويمكن تصور فلسفة الحلم على أنها هروب

---

(١). أحمد عتمان (١٩٨٩)، صص ١٦٨-١٦٩.، وكذلك انظر: Cicero., De Re publica.6.24.

(2). P. Mackendrick, (1989), p.118.

من الحياة السياسية المضطربة وتعويض عن الإحباطات السياسية، وبشكل أعم من الحياة نفسها.[١]

وبناءً على تعريف الحلم الذي تم عرضه في بداية البحث، والذي يتضمن كشفًا للمعرفة أو للحقيقة التي لا تتوفر للحالم أو البصيرة في حالة اليقظة العادية، فالحلم يأتي للتعبير عن الأحداث التي يعيشها الحالم في حياة اليقظة. ويمكن القول بأن لحلم سكيبيو بعدًا رمزيًا وهو رحلة الروح الفلسفية نحو الألوهية، أي من الحياة المادية التي يعرفها الرومان إلى حياة الألوهية. والأهم من ذلك أن حياة الروح في معبد أو مسكن الآلهة الروحي تفوق بكثير حياة الإنسان على الأرض. فالحلم يصور روما الدنيوية وروما السماوية.[٢]

يضاف إلى ذلك أن شيشرون في الكتاب السادس يُنهي الحوار بأن يقص سكيبيو أيميليانوس الحلم الذي ظهر فيه جده سكيبيو أفريكانوس وأظهر إليه من علياء السماء ضآلة وتفاهة كل ما هو بشري بما فيها من مجد أرضي، وكشف له النعيم الذي ينتظر أرواح رجال الدولة. وتشير شخصية المواطن الأول Princeps فى جمهورية شيشرون وبالتحديد في فقرة الحلم إلى نمط السياسي البارز، وليس من الشرط أن يكون متفردًا، وبمعنى آخر كان شيشرون يفكر في وجود شخصيات بارزة بالفعل بإمكانها أن تقود مجلس الشيوخ والصالحين boni، ومن المحتمل أن يكون دور "المواطن الأول" قد جاء على غرار الدور الذي لعبه سكيبيو أيميليانوس نفسه في الجمهورية الرومانية. وهذا يعني أن شيشرون لم يتنبأ بما حدث في فترة أوغسطس، ولكنه يهدف إلى الحفاظ على دور "المواطن الأول" في حدود الشكل الجمهوري للحكومة. لقد كان شيشرون يفكر ليس في إجراء إصلاح دستوري، بل في تماسك الإجماع السياسي حول القادة ذوي المقام العالي. كما أن نفوذ "المواطن الأول" لا يعد بديلاً عن نفوذ مجلس الشيوخ، بل هو يمثل الدعم المطلوب لإنقاذ الجمهورية، وحيث إن سلطاته لا تتعدى الحدود الدستورية، فإن "المواطن الأول" لن يحتاج أن يشحذ روحه ضد كل الشهوات الأنانية وخاصة شهوة السلطة والمال. وهذا الازدراء والترفع عن كل الأمور البشرية هو الرسالة التي يوجهها "حلم سكيبيو" لكل حكام الدولة. وهكذا فإن شيشرون

(1). W. J. Atkins, (2013), p. 47.
(2). S. Malcolm, (1995), p. 56.

يقدم صورة للحاكم الزاهد، فهو الممثل للمشيئة الإلهية على الأرض، والمتعهد بتكريس نفسه في سبيل خدمة الدولة عن طريق الترفع عن هوى البشر. وهذا النموذج الشيشرونى يمكن الوصول إليه ولكن بصعوبة.[١]

إن الفساد السياسي والاجتماعي الذي تفشى في المجتمع الروماني وعاشه شيشرون، اعتبره الباحثون سببًا في ظهور عمله "عن الجمهورية" بصفة عامة "حلم سكيبيو" بصفة خاصة، فلما وجد الفساد مستشريًا في مجتمعه نصب من نفسه مشرعًا جديدًا يضع شريعة يخلص بها مجتمعه من كل فساد عن طريق وضع نموذج للمواطن المثالي الصالح ليصل إلى جمهورية مثالية.[٢]

يدفعنا العنوان عن الجمهورية De Republica إلى مقارنة كتاب شيشرون بجمهورية أفلاطون. ولكن أوجه الاختلاف أكثر من أوجه الشبه. فعلى الرغم من أن لشيشرون أضواء من مثالية أفلاطون، فإن شيشرون كروماني خالص لا يستطيع أن يعطف على عدم اهتمام المفكر اليوناني بإمكان تحقيق الحكومة المثالية في الواقع الملموس. وكروماني متمرس في النظرية العملية، لم يفكر شيشرون في مشروع عريض للإصلاح الاجتماعي كالذي خططه أفلاطون. فقيمة جمهورية شيشرون لا تقوم على سن نظام دستوري أو على تقديم علاج سياسي، ولكنها تكمن في تطبيق المبادئ الأخلاقية في السياسة، ويؤكد شيشرون على أن الاهتمام بمسائل الحكم واجب اجتماعي وهذا يختلف كثيرًا عن وجهة نظر الإبيقوريين، ويقول شيشرون إن من ينقذ وطنه أو يعاونه أو يقويه يضمن لنفسه مكانًا مؤكدًا في السماء، أما أرواح الكسالى الذين يحبون اللذات فتدور أرواحهم في دوامة لا نهائية. وتظهر أهمية الحرية في كراهية شيشرون للطغيان الذي يدمر الدول، وفي إقراره بأن مجد الديموقراطية هو في حريتها. ومن المزايا البارزة لهذا الكتاب أن ضميره الاجتماعي قوى وحب الوطن والحرية فيه صادقة.[٣]

إن الهدف من برنامج شيشرون السياسي –على الرغم من المحطات السياسية الكثيرة التي مر بها شيشرون– يأتي في منهج ثابت، ففي سبيل إحداث تقارب وتفاهم بين طبقتي الشيوخ والفرسان وقف ذلك الرجل الجديد (novus homo) في جانب النبلاء، وقد ظل مخلصًا لفكرة الوئام ولمصالح

---

[١]. علي عبد التواب على، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، صص٢٢٤-٢٢٥.

[2]. T. C. Lockwood, (2015), p.22.

[٣]. د ف. ج. و (١٩٦٤)، صص ١٤٥-١٤٦.

مجلس الشيوخ، وكان تعاونه مع الائتلاف الثلاثي الأول استجابة للحاجة إلى حكومة رسمية، وهنا أيضًا كان اهتمامه أن يحافظ على مكانة مجلس الشيوخ وامتيازاته.[١]

وفي ضوء هذه الدراسة يمكننا أن نخلص إلى أن شيشرون قد تحدث عن أنظمة الحكم وقسّمها إلى ثلاثة أقسام أساسية وهي: الحكم الملكي الفردي والحكم الأرستقراطى وأخيرًا الحكم الديموقراطي. ويرى شيشرون أنّ أنظمة الحكم على اختلاف أنواعها يمكن أن تتعرض للفساد، وهو أمر من شأنه أن ينهي وجود هذا النظام بأكمله، فوجود الفساد يؤدي بالضرورة إلى حدوث ثورة، لذلك يرى أن فساد النظام الملكي ينتج عنه نظام استبدادي، في حين أن فساد النظام الأرستقراطي ينتج عنه نظام حكم الأوليجاركية، أما فساد النظام الديموقراطي فينتج عنه نظام حكم عامة الشعب (الرعاع) أو الديماجوجية.

أشاد شيشرون في بادئ الأمر بالحكم الملكي، لكنه وضح فيما بعد أن الملك من الممكن أن يتحول إلى مستبد وفاسد لا يهتم بالرعية، وهو الأمر الذي من شأنه أن يثير الشعب الذي يرى شيشرون فيه أنه هو المصدر الحقيقي لما يتمتع به الملوك من سلطة، فلا يكون أمام الشعب إلا الثورة ضد هذا الحكم الظالم، وحدوث الثورة لا يضمن للشعب الإتيان بحاكم أفضل من سابقه، بل على العكس غالبًا ما تأتي الثورات في هذه الحالة بحاكم دكتاتورى مستبد.

وبالنسبة للحكم الأرستقراطي، يرى شيشرون فيه أنه حكم يتمتع بالكثير من الاستقرار والثبات، حيث يحكمه أفضل الرجال، والسبب أنهم غالبًا ما يمتلكون الخبرة والحكمة التي تمكنهم من القيام بإدارة الدولة بشكل سليم، ولكنه غالبًا ما يكون عرضة للمؤامرات والدسائس من قبل أشخاص يخططون من أجل الاستيلاء على السلطة الأوليجارخية، وبالتالي فالأرستقراطية مثل الملكية قد ينتهي بها الأمر بالتغير، وهو الأمر الذي يفسح المجال للمنتفعين والطامعين بالحكم للوصول إلى السلطة.

أما الحكم الديموقراطى فيرى شيشرون أنه حكم جيد طالما قاد الحاكم دولته بصورة جيدة وتصرف في أمورها بالشكل السليم، وطالما كان قادر على الحسم في حال حدوث حالة طارئة، ويرى

[١]. على عبد التواب على، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، ص٢١٦.

شيشرون أن الناس، في ظل النظام الديموقراطى، يتمتعون بالحرية وبالحقوق المتساوية، حيث يشارك الناس جميعهم في إدارة الحكم، ولكن ما لبث أن غيّر رأيه فذهب إلى القول إن أسوأ الدول الجيدة هي تلك التي كانت ذات نظام ديمقراطي؛ لأنه في حالة فساد الحاكم لن يصل إلى الحكم إلا الغوغاء والرعاع.

تحدث شيشرون عن نظام الحكم المختلط، وذهب إلى خطوة أبعد مما ذهب إليها المؤرخ والسياسي اليوناني بوليبيوس في وصفه لعملية انتقال السلطة، حين كتب أنه هكذا تتجاذب الحكومة مثل الكرة، يتلقونها من الملوك والطغاة الأرستقراطيين أو الشعب، ومن الشعب إلى الأوليجارخية أو الرعاع، وبالتالي خلص إلى أن أنظمة الحكم الثلاث هي في الحقيقة أنظمة معيبة وغير مستقرة، واقترح نظامًا ثالثًا مختلطًا رأى فيه أن الحكومة المثالية هي تلك الحكومة التي تتشكل من توازن ومزج متساوٍ بين خصائص النظام الملكي والديمقراطي والأرستقراطي معًا، واقترح على الرومان إعادة النظام الجمهوري إلى شكله السابق، من خلال تقوية الأرستقراطيين ومجلس الشيوخ على حساب المجالس الديموقراطية، والحق أن شيشرون لم يكن من أنصار الديموقراطية ولهذا نجده يثني على التقسيم المجتمعي الذي قام به الملك السادس تولّيوس سرفيوس والذي يمنح النبلاء، على قلة عددهم، نسبة أعلى في المجمع الانتخابي من عامة الشعب، على الرغم من عددهم الكبير.

ومن خلال حديث شيشرون عن استخدام القوة والسلطة والقانون والدستور فى الحكم يتضح الآتى:
يرى شيشرون أن سلطة الدولة تنبثق من قوة الأفراد، فهؤلاء بمثابة منظمة تحكم نفسها بنفسها، وهؤلاء الأفراد يملكون بالضرورة القوة اللازمة لحفظ كيان الدولة، ويعملون على استمراريتها وبقائها، ويرى كذلك أنه من الضروري استخدام القوة السياسية استخدامًا سليمًا وقانونيًّا، وهو في حقيقة الأمر استخدام لقوة الناس مجتمعين، وما الموظف الحكومي سوى شخص يمارس ويستخدم صلاحياته بناءً على ما لديه من سلطة منحها له الناس والقانون. والحق أن شيشرون كان يعلي من أهمية الفرد في الدولة، ويضرب لنا المثل في ذلك بالأفراد الذين تصرفوا بشكل إيجابي فأحدثوا التغيير مثل بروتوس الذي قاد الشعب إلى إسقاط الحكم الملكي، أو هؤلاء الذين ساهموا في تعديل الدستور، أو أولئك الذين حافظوا على أوطانهم من أي اعتداء خارجي.

أما عن استخدام القانون والدستور فى الحكم فيقر بوجود قانون طبيعى عام ينبثق من واقع حكم العناية الإلهية للعالم ككل، وهو القانون ذاته الذي ينبثق من الطبيعة العقلية والاجتماعية للبشر، كما ذهب شيشرون للاعتقاد بوجود قانون له طبيعة ثابتة وخالدة موافق لقانون الطبيعة وللعقل وينطبق على جميع البشر، وأهم مميزات هذا القانون أنه لا يتغير بتغير الزمان أو المكان فهو قانون عالمي، وقد كان يطلق عليه في ذلك العصر قانون الشعوب.

وفيما يتعلق بالدستور فيرى شيشرون أن فكرة وجود الدستور في الدولة من الأفكار الصالحة لتنظيم شؤون الدولة والشعب، خاصة عندما تتولى الدولة القيام بمهامها، كما يأخذ شيشرون بفكرة سمو الدستور وعلوه على غيره من التشريعات القانونية، وهي من الأفكار التي ما تزال سارية المفعول لغاية يومنا هذا، وعليه فإنّ كل تشريع أو قانون يأتي بأحكام تخالف أحكام الدستور النافذ في البلاد لا يستحق أن يطلق عليه تسمية قانون من الأصل.

عرّف شيشرون الدولة بأنها عبارة عن جماعة معنوية، وبعبارة أخرى إن الدولة ما هي إلا مجموعة من الأشخاص يتملكونها بالمشاع فيما بينهم، ولا بد لهذا الكيان من قانون ينظمه وينظم علاقته بأفراد الشعب، كما يرى أن الدولة تقوم في الأساس من أجل تمثيل مصالح الناس المشتركة وتقديم المساعدة لهم، وهي في الوقت ذاته تمثل الحكم العادل بين أفراد الشعب في حالة حدوث خلاف بينهم. فالدولة وفقًا له ما هي إلا كيان يملكه جميع المواطنين، ولذا فالدولة في نظره يجب أن تمثل الشعب في القيام بالنشاطات العامة.

نادى شيشرون بالعدالة مثلما نادى غيره من الفلاسفة الذين تمنوا أن تسود العدالة أي مجتمع إنساني؛ لأن الإنسان جدير بأن يحيا حياة يسودها العدل، ومؤكدًا أن العدالة الحقيقية لا تُبنى على آراء الناس، بل تبنى على أحكام الطبيعة، فتلك الآراء والمعتقدات الزائفة التي يتبناها بعض البشر ما هي إلا نتيجة انحراف بعض العقول الضعيفة، وهي ذاتها التي سارت بهم على غير هدى، ولولا هذا الانحراف في الفكر والمعتقد لكان جميع الناس متشابهين وسواسية.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن شيشرون قد بدأ المحاورة بالحديث عن النظام الكوني لهذا الكون وما به من ظواهر طبيعية تتعلق بالفلك وذلك حين أشار إلى حديث الناس وقت المحاورة حول حدوث

ظاهرة عجيبة وهي ظهور شمسان في كبد السماء، وأنهى المحاورة بحلم سكيبيو حيث تسبح روحه في الفضاء الفسيح بين الكواكب والأجرام السماوية حتى يصل إلى جنة النعيم ويرى الصالحين وهم ينعمون فيها. وهكذا فإن الحديث عن الأجرام السماوية يشكل الإطار الخارجي للحديث عن نظريته السياسية عن الشكل الأمثل للدولة، وهو ما يوحي بالربط بين السياسة والعلم.

والحق أن حديث شيشرون عن دورة الأفلاك في قبة السماء جاء على نحو مجازي، ويتضح ذلك في استخدام شيشرون لبعض المفردات التي تشبه دورة الأجرام وهي تسبح في فلكها بدورة الحياة السياسية لأنظمة الحكم المختلفة، فهذا فيلوس يقول:

"Hanc sphaeram Gallus cum moveret, fiebat, ut soli luna totidem conversionibus in
aere illo, quot diebus in ipso caelo, succederet, ex quo et in caelo sp haera solis fieret eadem illa defectio et incideret luna tum in eam m etam, quae esset umbra terrae, cum sol e regione ...(1.22)

"وعندما حرك جالّوس هذه القبة، حدث أن القمر سار خلف الشمس في حلقات عديدة مصنوعة من البرونز بنفس عدد أيام دورانه خلف الشمس في السماء نفسها؛ ولهذا يحدث كسوف الشمس في تلك القبة مع الكسوف الفعلي لها، وعندئذ يبلغ القمر الموضع الذي كان فيه ظل الأرض، عندما تكون الشمس خارج المنطقة ....."

في هذه الفقرة استخدم فيلوس كلمة **conversionibus** للتعبير عن حركة القمر حول الشمس في مداره، وهي مشتقة من الفعل convertere، وكذلك سكيبيو في حلم سكيبيو يستخدم الكلمة ذاتها للغرض نفسه:

"Quam ob causam summus ille caeli stellifer cursus, cuius **conversio** est conci tatior, acuto et excitato movetur sono, gravissimo autem hic lunaris atque infi mus;" (6.18)[1]

[1] . (cf. 6.19, 24).

"وعلى ذلك فإن المدار الخارجي للسماء الذي يحمل النجوم والذي يدور بسرعة أكبر يتحرك محدثًا نغمة عالية وحادة، في حين أن النغمة الصادرة عن حركة القمر هي الأكثر انخفاضًا، وذلك لأنه أدنى الأجرام."

واستخدم سكيبيو المصطلح نفسه للتعبير عن المدار الذي تدور في فلكه الأنظمة السياسية، فكل نظام سياسي يمكن أن تدور به الدائرة ويتحول إلى نظام آخر:

"Haec constitutio primum habet aequabilitatem quandam magnam qua carere diutius vix possunt liberi, deinde firmitudinem, quod et i lla prima facile in contraria vitia
convertuntur, ut existat ex rege dominus, ex optimatibus factio, ex populo turba et
confusio, quodque ipsa genera generibus saepe conmutantur novis, hoc in hac iuncta moderateque permixta conformatione rei publica e non ferme sine magnis principum
vitiis evenit." (1.69)

"يحقق نظام الحكم هذا، في المقام الأول، قدرًا كبيرًا من المساواة، التي بدونها لا يتمكن الأحرار من الاحتفاظ بحريتهم لمدة طويلة، كما أنه يحقق الاستقرار أيضًا، بينما أنظمة الحكم الأولى تنقلب بكل سهولة إلى الأشكال السيئة المضادة لها، إذ يحل الطاغية محل الملك، ويحل الحزب الأوليجارخي محل الصفوة الأرستقراطية، ويحل الغوغاء والفوضى محل حكم الشعب الديموقراطي، وبينما هذه الأنظمة ذاتها **تتحول** في أغلب الأحوال إلى أنظمة جديدة، فإن هذا الأمر لا يحدث في حالة هذا النظام التوافقي للدولة، إذ يمزج باعتدال بين الأنظمة، إلا إذا وقعت الطبقة الحاكمة في أخطاء جسيمة."

وهكذا عبر شيشرون بأسلوب مجازي عن التحول السياسي من خلال ربطه بحركة الأجرام السماوية، ويتضح هذا بشكل أكبر من حرص شيشرون على التعبير عن التحولات السياسية في تاريخ روما من خلال استخدام مصطلح conversio الذي يستخدمه لمدارات الفلك، ففي الكتاب الثاني يعبر عن تحول روما من الملكية إلى الطغيان على يد تاركوينيوس سوبربوس باستخدام هذا

المصطلح[1]، فهو يرى أن الدول تدور في فلك دوائر وهو ما يجسد حركتها الطبيعية في الحياة والكون:

"Hic ille iam vertetur orbis, cuius *naturalem motum atque circuitu m* a primo discite adgnoscere. Id enim est caput civilis prudentiae, in qua omnis haec nostra versatur oratio, videre itinera flexusque rerum publicarum, ut, cum sciatis, quo quaeque res inclinet, retinere aut ante possitis occurrere." (2.45)

"عند هذه النقطة سيحدث تغير في دورة حياتنا السياسية، التي يجب أن تعلموا دورتها الطبيعية وتطورها منذ بدايتها. لأن الإنجاز الأكبر للحكمة السياسية، التي نتناولها بالمناقشة هنا، هو التعرف على الدروب والمسارات المنحنية التي تسير فيها أنظمة حكم الدول، وبذلك عندما تكونون على علم بالنظام الذي تميل الدولة إلى تطبيقه، يكون بمقدوركم اتخاذ التدابير اللازمة لمنع حدوث هذا التغيير السياسي أو التنبؤ به."

وننتهي بأن شيشرون ببراعته ولغته المجازية استطاع الربط بين دورة الأجرام السماوية في الفضاء ودورة الحياة السياسية على الأرض، ولهذا أنهى المحاورة كما بدأها بالحديث عن الفضاء الخارجي وموقع روما من هذا الكون الفسيح، وأهمية دور الفرد في التطور السياسي للدول، وما مصير المخلصين لأوطانهم في الحياة الآخرة.

[1]. (2.44-47).

قائمة بالاختصارت

AJPh	American Journal of Philology.
Cic	Cicero.
CQ	The Classical Quarterly.
De Rep	De Re publica.
JRS	The Journal of Roman Studies.
L.C.L	Loeb Classical Library.
OCD	Oxford Classical Dictionary.
OSAPh	Oxford Studies in Ancient Philosophy.
SCI	Scripta Classica Israelica.

أولًا: المصادر اللاتينية

Cicero, (1921), *Letters to Atticus*, trans. by Winsted, E. O. (L.C.L) London.
Cicero, (1943), *De Re publica & De Legibus*, trans. by Keyes, C. W. (L.C.L) London.
Plato, (1935), Republic, Translated by Paul Shorey., (L.C.L) London.

ثانيًا: المعاجم والقواميس

The Oxford Classical Dictionary, (1949) ed. by Cary, M., and A. D. Nock et alt., first edition, Oxford.
The Oxford Classical Dictionary, (1979) ed. by Hammond, N. G. L., and H. H. Scullard, Second Edition. Oxford.
Sandy. J. E., (1962), Dictionary of Classical Antiquities. New York.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

Aldrete, G. S. (2004), *Daily Life in the Roman City, Rome, Pompeii, and Ostia*. Greenwood Press. London.
Androw. L. o. (1999), *The Constitution of the Roman Republic*, London.
Asmis, E. (2005), "A New Kind of Model: Cicero's Roman Constitution in De republica.", *AJPh* (126) 3: pp. 377-416.
Astin, A. E. (1967), *Scipio Aemilianus*, Oxfrod.
Atkins, W. J. (2013), *Cicero on Politics and the Limits of Reason, The Republica and Laws.* Cambridge University Press.
Cross, R. C. & A. P. Woozley, (1970), *Plato's Republic a Philosophical Commentary*. London.
Francis, B. (2005), *Marcus Tullius Cicero, Treatise on the Commonwealth (54BC),* The Online Library of Liberty. London.

Frandreas, K. (2010), *Commentary on Cicero, De Republica, VI, 18 & 19,* (Harmony of Spheres). USA.
Gallagher, R. L. (2001), "Metaphor in Cicero's De Re Publica", *CQ* (51): pp. 509-519.
How, W. W. (1990), "Cicero's Ideal in His de Republica ", *JRS* (20): pp. 24-42.
James. M., (2002), *Brill's Companion to Cicero, Oratory and Rhetoric,* Brill. Leiden. Boston.
Jackson, B. J. (1987), "The Education of Statesmen in Cicero's "De Republica", *Polity* (19) 3: pp. 353-374.
Keyes, C. W. (1998), *Cicero: On the Republic, On the Laws,* Cambridge, Mass.
Lockwood, T.C. (2015), *Documenting Hellenistic Philosophy: Cicero as a source ass a Philosospher,* Quinnipiac University.
Mackendrick, P. (1989), *The Philosophical work of Cicero,* Backworth. London.
Malcolm, S. (1995), *Cicero the Philosopher, Cicero's definition of Res publica*. Oxford.
McConnell, S. (2012), "Cicero and Dicaearchus", *OSAPh* (42): pp. 307–349.
McConnell, S. (2014), *Philosophical Life in Cicero's Letters,* Cambridge.
Powell, J. G. F. (1995), *Cicero, The Philosopher*, Oxford, Clarendon Press.
Niall. M.C., (1998), *"Cicero's Dream of Scipio",* From the Latin text of Cicero, M.T. De re publica. (Ed. Zetzel. J.E.G.), Cambridge University Press.
---------- (2001), *Cicero*.
Powell, J. G. F. (1994),"The Rector ReiPublicae of Cicero's De Republica", *SCI* (13): pp. 19–29.
Sabine, G. H. & S. B. Smith, (1976), *Marcus Tullius Cicero*: on the Commonwealth. Columbus.
Stevenson, T. (2005), "Readings of Scipio's Dictatorship in Cicero's " De Re Publica" *(6.12)", CQ* (55) 1: pp. 140-152.
Zarecki, J. (2014), *Cicero's Ideal Statesman in Theory and Practice.* London.
Zetzel, J. E. G. (1995), *Cicero De Republic*, Cambridge.
---------- (2001), "Citizen and Commonwealth in De Re Publica Book 4", Powell, J. G. F., and North. J. A., (eds.), Cicero's Republic, London. pp. 83–97.
---------- (2011), *Political philosophy,* Cambridge.

رابعًا: المراجع العربية

أحمد خليل إبراهيم، (٢٠٠٤)، القضايا النقدية فى محاورة الجمهورية عند شيشرون، رسالة دكتوراة (غيرمنشورة)، كلية الاداب، جامعة عين شمس، القاهرة.

أحمد عتمان، (١٩٨٩) *الأدب اللاتينى ودروه الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى*، عالم المعرفة، العدد١٤١، الكويت.

أفلاطون، (١٩٨٥)، *جمهورية أفلاطون*، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، راجعها على الأصل اليونانى: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

جورج سباين، (٢٠١٠)، *تطور الفكر السياسي*. ك ٢. ترجمة: حسن جلال العروسى، مراجعة وتقديم: عثمان خليل عثمان، تصدير: عبد الرازق السنهورى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

د ف. ج. و، (١٩٦٤) *تاريخ الأدب الرومانى*، ترجمة: محمد سليم سالم، راجعه: محمد صقر خفاجة، مركز كتب الشرق الأوسط، ج٢، القاهرة.

عبد العظيم محمد أحمد عبد الكريم (١٩٨٢)، *الأدب الرومانى من البداية حتى نهاية عصر شيشرون*، القاهرة.

على عبد التواب على، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، *الأدب اللاتينى فى عصرى الجمهورية وصدر الإمبراطورية، قراءة فى الأجناس الأدبية*، القاهرة.

محمد جمال كيلانى، (٢٠١٢)، " تصور الدولة المثالية بين أفلاطون وشيشرون"، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الحادى عشر، القاهرة. ص ٩٧–١٣٥.

مصطفى العبادى، (٢٠٠٩)، *الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة.

خامسًا: المراجع الإلكترونية

www.// duke. usask.ca/ niallm.